أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق
الدكتور عبد اللطيف محمد العبد
مدرس الفلسفة الإسلامية في كلية العلوم بالقاهرة

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

منشورات المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

☎ ٢٣٧٥٤٥ - بيروت ص.ب ٨٣٥٥
☎ ٧٢١٦١٢ — صيدا ص.ب ٢٢١

أخلاق الطبيب

رسالة لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي إلى بعض تلاميذه

تقديم وتحقيق

الدكتور عبد اللطيف محمد العبد

مدرس الفلسفة الاسلامية في كلية العلوم بالقاهرة

الطبعة الثانية

١٤٠٠هـ - ١٩٨٠

منشورات المكتبة العصرية

صيدا - بيروت

تلفون ٢٣٧٠٤٠ - ص.ب ٨٣٥٥

بيروت – تلفون : ٢٢٧٥٤٥ – ص.ب. : ٨٣٥٥

صيدا – ٧٢٠٦٢٤-٧٢٠٣١٧

ص . ب . ٢٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

حمدا وشكرا لله سبحانه ، وصلاة وسلاما على السراج المنير محمد ، الذي ناز باكرم واشرف تزكية من ربه : « وانك لعلى خلق عظيم » .

وبعـــد :

لقد شاءت حكمة الله تعالى ان يكون انشاء الحضـــارة منوطا باجتهاد الانسان ، يشيدها بفكره ووجدانه ، ويسعد بها في حياته . ولا يحقق هذا الا عاقل طلعة ومفكر حر ، فلا تقوم حضـارة على جهل وذلة وخمول .

وان مؤلف هذه الرسالة من المفكرين الاحرار ، والاعلام المصلحين ، حيث ساهم في نشر الخير ، وشارك في تدعيم النهضة ، بعقل حر متطور ، وسلوك متزن ، وخلق كريم .

ذلك هو : ابو بكر محمد بن زكرياء الرازي .

وقد ولد بالري عام ٢٥٠هـ ــ ٨٦٤م . ثم توفي في ٥ مـن شعبان عام ٣١٣هـ ــ ٢٥ اكتوبر ٩٢٥م ، اي عاش ما يقرب من اثنين وستين عاما .

وقد نشأ الرازي بالري ، موطن العلم والادب والنبوغ ، فنهل من معين هذه البيئة ، واعرض عن التجارة والصيرفة والغناء ، معتكفا في محراب العلم ، للارتواء من تراث السابقين : عربا ويونانا وهنودا .

واتسم الرجل بالذكاء والفطنة ، والهدوء والرزانة ، وتحلى بحب الرحمة والعدل ، والنصح والعفة ، والاقلال من مماحكة الناس ومجاذبتهم ، بالاضافة الى بره بالفقراء والمرضى ، وحسن تمهيده للطلاب .

وكان الزهد طابعا ملازما له في مسكنه ومركبه ومأكله ؛ ولا عجب ان يموت تاركا زوجا صبورا ، دون درهم أو ولد .

نعم كان في بلاط الامراء ، لكنه لم يسمح لنفسه الا بان يكون طبيبا أو ناصحا لهم . ولو شاء ان يكون قاروني المال لفعل ، فقد كانت الظروف مواتية له ، حيث كان رئيس الاطباء ، واثيرا لدى الامراء ، لكنه كان يدرك بحق ثمرات الزهد والفكر ، وهو لم يخلد الا بهما .

صحيح ان الفيلسوف تنوع لكنه في البحث عن الحقيقة غير متنوع . وهو في نفس الوقت يدرك انه انسان بقدرة محدودة . وهو مع الاعتدال يحاول الكمال .

وقد كان أبو بكر الرازي بعيد النظر ، حيث كتب سيرته بنفسه ، خوفا من تحريفها على يد الخصوم ، وما اكثرهم !.

وقد صحح في هذه السيرة كل ما حاول الخصوم ان يزيفوه عليه . واثبت أنه فيلسوف نظرا وتطبيقا مستدلا بحسن

سيرته ومؤلفاته العديدة التي تهدف الى اسعاد الانسان .

وقد مجد هذا المفكر العظيم كل فكر فلسفي حر ، واشاد بالفلاسفة ودورهم الكبير في المجتمع الانساني .

وقدم للناس خلاصة افكار الفلاسفة . وخلاصة افكاره ، معتزا بمؤلفاته وعلمه ، حتى صار فيلسوف الوضوح والخير ، والعقل والتجربة .

وكان الرازي مؤمنا بالله تعالى ، وبجميع صفات الكمال التي تليق بذاته المقدسة ، ومؤمنا كذلك برسل الله وانبيائه ، وبتعاليم الاديان السماوية ، وقد ابغض المذاهب المنحرفة والمتزمتة . كالدهرية وغيرهم من أصحاب الجدل .

والرازي – فيلسوفا – لم يغفل التاكيد على ضرورة الاخلاق ، فعليها تشاد الحضارة . تأمل مثلا الطبيب وقد تجرد من الاخلاق الكريمة ، انه يصبح سفاحا للدماء ، نفاحا للامراض .

وكان الرازي فيلسوفا حقا ، اذ كان يأسى للادواء الروحية ، فيشخصها ، ويصف لها الدواء الناجع ؛ فهو ليس بمعزل عن المجتمع ، بل يطالب باصلاحه عن طريق اصلاح الروح . ويقدم من نفسه قدوة للناس قولا وعملا ، منبها الناس الى ان يكونوا اقوياء الارادة ضد الملذات التي تفقدهم سعادتهم ، ويطالبهم باعمال عقولهم في قمع الهوى وتذليل الشهوات .

ولا يكون الفيلسوف عظيما الا اذا آمن بالتجربة ، ففيها

سمو من التقليد ، وارتفاع عن ادعاء العصمة والجمود ، وفيها كذلك تفاؤل وتقدم وابتكار . وهو ما يشكل جزءا كبيرا من سعادة الانسان وحريته . وبهذه الروح كانت فلسفة الرازي ومعرفته .

وكان الرازي يشق طريقه نحو الرقي الفكري معرضا من الجاهلين ، فليس لديه وقت يضيعه في الجدال والمغالطة مثلهم ، فقد كانت لديه صنعة اخرى هي الطب ، الذي اعمل فيه عقله تحصيلا وتجريبا وتاليفا ، ليخفف عن الانسان الامه ، فيحقق له جزءا من الهناء والسعادة .

ومن المالوف أن يتعلم الانسان منذ الصغر ، وقد يشذ العبقري عن القاعدة والمالوف ، فقد مال الرازي الى تعلم الطب على كبر ، وقد تجاوز الثلاثين ، دليل ذكائه ووعيه ، فلم تقف السن حائلا بينه وبين المعرفة .

وقد برع في الطب براعة السابقين علما وعملا ، وركز على الجانب الاخلاقي فيه ، فهما عنده لا ينفصلان بحال . ولقب بحق « ابا الطب العربي » و « جالينوس العرب » حيث عد من الاطباء العلماء وشهد له بالتفوق على اعلام الطب من امثال : ابن سينا ، وابن رشد ، وابن ميمون .

هكذا كان الرازي ، وكانت فلسفته فلسفة انسانية شاملة تلتحم بالواقع ، وتعبر عنه وتسمو به .

وقد قدره المنصفون في الشرق والغرب ، حيث لمسوا عمق فلسفته وابتكاره في العلم .

وحسبنا قول ابن النديم عنه انه : « أوحد دهره ، وفريد عصره » ، وقول ابن خلكان عنه في الفلسفة : « قراها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فبلغ من معرفة غوابرها الغاية ، واعتقد الصحيح منها ، وعلل السقيم » .

وحسبنا ايضا شهادة الشهرزوري وهو من الد خصومه : « ان الرازي قد بلغ الغاية في الطب » ويشهد د. بنيس ان الرازي استاذ لمدرسة في الفلسفة ، كما هو استاذ لمدرسة في الطب .

وشهد ستابلتون الانجليزي بعد دراسته لكيمياء الرازي بانه بقي بلا ند حتى بزوغ فجر العلم الحديث باوروبا. ويقول عنه كوربان : « انه طبيب شهير وشخصية ايرانية فذة » .

وقد دعت صحيفة المقتطف الى تعيين ٣٠ من يناير ١٩٣٠ للاحتفال بالعيد الالفي للرازي في الهيئات الطبية للامة العربية.

وعلقت مدرسة الطب بباريس صورة ملونة للرازي الى جانب ابن سينا وابن رشد . وخصصت جامعة برنستون الامريكية افخم ناحية في اجمل مبانيها لعرض ماثره .

وما احوجنا الى ان نكون في مقدمة الذين عرفوا قدر الرازي ، وان نضعه في منزلته الحقيقية . وقد آن الاوان ان يلتفت رجال الطب عندنا لمراجعة التراث الطبي لدى الرازي ، عسى أن يفيدوا منه البشرية في العصر الحديث ، فهم اقدر الناس على تحقيق هذا الهدف .

اما الجانب الفلسفي فقد اتيح لي ان ادرسه حسب المادة الموجودة ، وذلك في رسالتي للدكتوراه « فلسفة ابي بكر محمد زكرياء الرازي » التي حصلت بها على مرتبة الشرف الاولى عام ١٩٧٥ من قسم الفلسفة الاسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

واثناء دراستي للدكتوراه عثرت على احد المخطوطات للرازي لم يسبق نشره وعنوانه : « رسالة لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي الى بعض تلامذته » .

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية وتم ١١٩ طب تيمور ضمن مجموعة كتبت عام ١١١١هـ من ص ١٦٦ — ١٨٤ منقول من اصل خط الرازي ، وبقلم معتاد ، مسطرته ٢١ تقريبا .

والحق انني استفدت كثيرا من مادة هذا المخطوط في توضيح معالم الفلسفة الاخلاقية لدى الرازي .

وقد اجتهدت في الحصول على مخطوط اخر فلم اوفق حتى الان ، ولم تدلني الفهارس على شيء اخر . ولذا اثرت نشر المخطوط من هذه النسخة الوحيدة ، حتى لا يتعرض للضياع كما ضاعت معظم كتب الرازي . وفي ذلك خسارة كبيرة للفكر البشري .

وقد قمت بتعليقات عديدة في الهامش ، وهي تؤكد في مواضع كثيرة من الرسالة ان نسبتها صحيحة للرازي .

حيث قارنت كثيرا بين فكر الرسالة وفكر الرازي في كتبه الاخرى التي تيسرت لي مطبوعة ومخطوطة ، وقد وجدت الروح واحدة ، فلا تناقض ولا اضطراب .

وهذه الرسالة مثل كل مؤلفات الرازي ذات اسلوب عذب رصين ، يجمع بين الايجاز والعمق ، في دقة وتحليل واستقصاء ، وتنويع بين الخبر والانشاء .

ولهذا يجب ان نتركها لكل قارىء يتمتع بهذا الاسلوب العلمي المتأدب ، ويستنتج منها ما يتفق مع ذوقه وميوله .

ولا شك ان هذه الرسالة المليئة بالنصائح الاخلاقية الطبية صالحة لكل قارىء : متخصصا او غير متخصص ، طبيبا او مريضا او سليما ، اميرا او فقيرا .

فهي تضع دستورا اخلاقيا في طريقة السلوك بين الطبيب والمريض ، وترسم اهم المبادىء التي يجب ان يتعامل بها كل منهما مع الاخر ، وهي ايضا بهذا نموذج ادبي رائع لاحد موضوعات الخير الاسمى .

ويلاحظ انني احيانا استبدلت كلمة مكان اخرى في الاصل ، ليستقيم المعنى ، ثم نبهت في الهامش على الاصل ، مع وضعه كما هو بين علامة تنصيص ، لعل احدا يقترح قراءة اخرى لهذه الكلمات وهي مسئوليتنا جميعا . وقد تسقط كلمة من النص فاضع بدلا منها كلمة حسب السياق مع وضعها بين معقوفين [ ] وقد تسقط اكثر من كلمة فاضع ثلاث نقط هكذا . . . اما العناوين فهي من وضعي .

واما التلميذ الذي وجه اليه الرازي هذه الرسالة فهو « ابو بكر بن قارب الرازي ، حين دعاه أحد الامراء بخراسان ليكون طبيبا خاصا له . وفي مطلع الرسالة يتبين بوضوح مدى اعتزاز الاستاذ بتلميذه وايثاره اياه ، وشفقته عليه من هذا الميدان الذي يحتاج الى لباقة خاصة وكياسة وفطنة وحذر » .

ولم يصرح الرازي باسم الامير ، وهذه عادته كثيرا في مؤلفاته ، كيلا يقع في الحرج ، أو يوقع الامير والتلميذ فيه .

ونرجو من الله ان يحقق لنا آمالنا تجاه الخير ، فهو سبحانه وتعالى ولي التوفيق ؟

الدكتور / عبد اللطيف محمد العبد

القاهرة — الزيتون

تحريرا في ١٩٧٥/١٠/٢٥



رسالة لابي بكر محمد بن زكريا الرازي الى بعض تلامذته
منقول من خط اصل السيد الروزي . . .
بسم الله الرحمن الرحيم
علمني ابقاك الله واسعدك وبالثقة فيك انه دعاك الامير فلان
الى حضرته واختصك لخدمته معتمدا في ذلك عليك
وملقيا باسبابه اليك وقد احسن الظن بك
من اختصك لنفسه واعتمد عليك من جملة
امين روحه فكان امر لا بد لك اليه من خدمته وذلك
حقوقه وحفظ صحته وتدبير قريب اعلم انه من صعب
الاشياء للطبيب خدمة الامراء ومعالجة المترفين
والنساء فان الطبيب مع السيرة او المشتغل بمعالجة
وحفظ الخاصة والعامة فانه يعيش بعز ويكون عليهم

(صفحة ١٦٦ من المخطوط)

اميرا واذا قوم بخدمة الملوك ربما صار بخدمتهم
اميرا لا سيما اذا كان الملك عاجبا كما انى سمعت
ان بعضهم اجابته على خاطره الطبيب بحجته وهو [illegible]
وقال لا اصنع بالطبيب اذا اذا اشتهى المشتهى وانما
اصطنعتك لتفسح لى اكل ما اريد وتدفع بعلمك عنى اكره
من مضرته. لم يكن يعلم انه من المحال مثل هذا المقال
وانه ليس فى قوة صناعة الطبيب وان الاطبا عادتهم
عادات الامراء واسوقهم. فقدرة على الاغنياء والفقراء
لان من عاداتهم ان يأمروا وليس من عاداتهم ان
يؤمروا ولا يجب عليك حياة النفس عن الاشتغال
باللهو والطرب والمواظبة على صنيع الكتب فعساه ان
يسالك عن شئ بغتة والتحفظ فيعسر عليك الاجابة
فيعرف [illegible] عند. فان من الامراء والملوك والرؤساء
من يكون عاجبا ومن اكابر من يصار فيها بتحسين العقلاء
منهم وكثرة جهلهم ان كل من يسال العالم فهو حقيق بان يجب
عن كل ما يسال من ذلك العلم فان هو عيا فانهم ينسبونه
الى الجهل ويجهلونه [illegible] وربما اجاب الاخرق واسكت
الحاذق وربما اشكل على العالم النحرير المسالة التى يجيب فيها
اقل تلامذته علما واحلهم فهما لانه ليس يحفظها ادام يتوقعها
ولم يسمعها لكن لعوز الكمال فى الانسان ويظنون بجهلهم
بل يعتقدون ذلك ان من قرا نوعا من العلم وشرع فى فن

(صفحة ١٦٢ من المخطوط)

العقل من الرجال والف، واحفظ عن وصية اشد
ومحلفه ورايهم فى استخدام من يخدمهم مستغفرة فمنهم
من يريد طول المقام عنده، ومنهم من يكره فاذا عرفت
مع هولاء ما يخدمه [illegible] وذلك [illegible] من يخدمه فان
ادركت [illegible] واقبل [illegible] بوجه [illegible] من
ان يفعل [illegible] عليك او يعيد بوجه [illegible]
[illegible] اذا [illegible] بهذه الخصال ولازمتها فى سائر الاحوال
ليت حريا بان يحظك الملوك والشرفة و[illegible]
عليك مخافة والندامة ولا تخلو فى خلال ذلك
من ثواب وذخر وجزيل [illegible] وحسن ذكر و[illegible]
[illegible] من هذا الباب بهذا القدر فيه كفاية [illegible]
لمن نظر فيه وتدبره بعقل [illegible] السداد
وسلك كل طريق الرشاد [illegible] ولله
[illegible] بلا نهاية كما هو اهل ومستحق

(صفحة ١٨٤ من المخطوط)

رسالة لابي بكر محمد بن زكرياء الرازي ص ١٦٦

الى

بعض تلامذته

منقول من اصل خط يد الرازي (١)

---

(١) في الاصل هكذا : « منقول من اصل خط اليد الروزي » .

بسم الله الرحمن الرحيم

دعـــاء وثنـــاء :

بلغني — امتع الله بك ، وبالنعمة فيك — انه دعـــاك الامير فلان الى حضرته (١) ، واختصك لخدمته (٢) . معتمدا في ذلك عليك . وملقيا باسبابه اليك ، وقد احسن الظن بك من اختصك لنفسه واعتمد عليك من جعلك امين روحه (٣) وفقك الله لما تحبك اليه (٤) : من خدمته ، ورعاية (٥) حقوقه ،

---

(١) تطلق الحضرة على كل كبير يحضر عنده الناس (المنجد — حضر) .

(٢) كان الرازي ورفقته يدركون أن التمريض هو الاساس الكبير للشفاء . وما زال الطب الحديث يؤمن بذلك — د. محمد زكي سويدان التمريض والاسعاف ٣ .

(٣) يبدو من هذا مدى اعتزاز الرازي بتلاميذه وثقته فيهم . وكان الامراء يثقون في تلاميذ الرازي ثقتهم في الرازي نفسه . ولم يكـن هـذا التلميذ هو الوحيد الذي الف له الرازي رسالة ، بل قد الف كتابه « الاسرار » لتلميذه محمد بن يونس العالم بالرياضيات والطبيعيات ، وممن كثرت خدمته لاستاذه ، ويقول الرازي في ذلك : « الفت كتابي هذا ، واتحفته بما لم اتحف به احدا من الملوك والامراء » هكذا يعتز بتلميذه — الاسرار ص ١ .

(٤) في الاصل « فوفقك الله لا يديك » .

(٥) في الاصل « ودعاتـــه » .

وحفظ صحته (١) ، انه سميع قريب .

اصعب الوان الطب :

اعلم ، انه من اصعب الاشياء للطبيب : خدمة الامراء ، ومعالجة المترفين (٢) والنساء (٣) . فان الطبيب الحر السيرة اذا اشتغل بصناعته ، وحفظ الخاصة والعامة ، فانه يعيش بخير ، ويكون (٤) عليهم / اميرا واذا توسم (٥) بخدمة الملوك

---

(١) هذا هو الهدف من علم الطب . وهو يتفق مع تعريف التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٦١) حيث يقول عـــن علم الطـــب : « هو علم يبحث فيه عن بدن الانسان من جهة ما يصح ويمرض ، لالتماس حفظ الصحة وازالة المرض » .

(٢) معناها « المتعمين » المنجد — ترف .

(٣) اجمع الباحثون في كل زمان ومكان على شرف مهنة الطب ، لان موضوعها ابدان البشر التي هي اكرم على الخالق من سائر ما خلق . وقد ادرك الرازي هذا كله ، فكتب عن واجبات الاطباء ، مما يحسب له في باب السبق والابتكار ، د. يوسف حريز : مجلة المقتطف ص ٥١٤ ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ .

(٤) في الاصل : « ويكونه » .

(٥) الكلمة تفيد الحسن والوجاهة والشرف (المنجد — وسامة رسم) .

ربما صار بخدمتهم أميرا (١) ، لا سيما اذا كان الملك عاليا (٢). كما اني سمعت ان بعضهم اصابته علة ، فأمره الطبيب بالحمية (٣) ، وهو يأباها ، وقال ، ما اصنع بالطبيب اذن (٤) اذا منعني المشتهي ؟! وانما اصطنعتك لنفسي ، لآكل ما أريد ، وتدفع بعلمك عني ما أكره من مضرته . ولم يكن يعلم انه من المحال مثل هذا المقال . وانه ليس في قوة صناعة (٥) الطبيب : وان الاطباء عاداتهم عادات الامراء ،

---

(١) هكذا يرفع الرازي من شأن الطب . ويبدو من مؤلفات الرازي انه كان يبادل الامراء الاحترام باعتبارهم اولي الامر ، ومن كلامه : « اكمل الله للامير السعادة ، واتم عليه النعمة » ، « حضرة الامير اطال الله بقاءه » ومن هنا ندرك مدى تعقل الرازي (الطب الروحاني ١٥)

(٢) العامي الذي لا يبصر طريقه .

(٣) حمى المريض اي منعه عما يضره « الحمية راس كل دواء » .
(المنجد ، حمى)

(٤) في الاصل : « أذا » .

(٥) كلمة صناعة هنا كلمة موفقة ، حيث انها ترد في تعاريف الاطباء اليوم . فهم يعرفون الطب بانه لغة علاج الجسم والنفس ، واصطلاحا يطلق على معرفة ادواء المرضى ومعالجتهم . فهو علم لانه دراسة اولا ، وفن بطريقة ممارسته تبعا لناموس الارتقاء ، وهو صناعة لانه مورد رزق لمحترفيه . (د. حسني سبيع : فلسفة الطب ١) .

وامورهم نافذة على الاغنياء والفقراء (١) ، لان من عاداتهم ان يأمروا ، وليس من عاداتهم ان يؤمروا (٢).

صيانة الطبيب نفسه :

فأول ما يجب عليك : صيانة النفس (٣) عن الاشتغال باللهو والطرب ، والمواظبة على تصفح الكتب (٤) ، فمساء

---

(١) مات الرازي فقيرا — عيون الانباء ، ٢) ٤ .

(٢) في الاصل : « يؤمر لسي » .

(٣) قديما كان الطب والاخلاق من فروع المنهج الفلسفي .

(٤) قد يجد بعض الباحثين الرازي من اجل هذه الفكرة التي توجب الاطلاع على ابحاث الغير ، لاتفاقها مع وسائل التعليم الحديثة . توقل : المسلمون والعلم الحديث ٦٥ .

نرى الرازي دائما يطبق على نفسه كل ما يقوله لغيره ، وهو يقول عن نفسه بالنسبة للاطلاع : « اما محبتي للعلم ، وحرصي عليه ، واجتهادي فيه ، فمعلوم عند من صحبني . وشاهد ذلك مني اني لم ازل منذ حداثتي والى وقتي هذا مكبا عليه . حتى اني متى اتفق لي كتاب لم اقرأه ، او رجل لم القه ، لم التفت الى شغل بتة ، ولو كان في ذلك على عظيم ضرر دون ان اتي على الكتاب واعرف ما عند الرجل » .
(السيرة الفلسفية — ٨١)

ان يسألك عن شيء بغتة ، ولا تحفظه ، فتعسر (١) عليك الاجابة . فيضرك ذلك عنده (٢) .

يذكر بعض معارف الرازي انه لم يكن يفارق المدارج والنسخ فيقول : « ما دخلت عليه قط الا رايته ينسخ : اما يسود او يبيض » .

(ابن النديم : الفهرست ٤١٦)

وقد وصف الرازي بانه كان : (فطنا ذكيا ، مجتهدا في جملة اوقاته بالاجتهاد والتطلع والنظر فيما دونه الافاضل) .

(الشهروزي : نزهة الارواح لوحة ٢١١)

ويرى الرازي ان المعرفة ليست وقفا على انسان معين ، الا كان البحث والنظر والاجتهاد يوجب الزيادة والفضل .

(المناظرات ١.٢ في رسائل الرازي) (وقارن عيون الانبياء ٤٢.٢)

وقد امتدح بعض المقربين صفة الاطلاع الدائم لدى الرازي على معارف السابقين

(١) في الاصل يعثر :

(٢) الحق انه لا امتياز للانسان الا بالثقافة . وكثيرا ما اوصى ابقراط بان ينمي الطبيب معلوماته بقراءة الكتب وحفظ ما يستطيع منها في حداثته ، وحتى لا يترك مريضه ويذهب الى استفتاء كتاب . علي المجوسي : كامل الصناعة الطبية ١ : ٩ .

ثقافة الطبيب :

فان من الامراء والملوك والرؤساء من يكون عاميا ، ومن الاكابر من يصادف أميا (١) فيحسبون بقلة علمهم ، وكثرة جهلهم ان كل من تسب الى علم ، فهو خليق (٢) بأن يجيب عن كل ما يسأل من ذلك العلم ، فان غبي بمسالة (٣) فانهم ينسبونه الى الجهل (٤) . وليسوا يدرون انه ربما أصاب الاخرق (٥) ، واشوى (٦) الحاذق (١) وربما اشكل على العالم

---

(١) الامي من لا يعرف القراءة ولا الكتابة (المنجد — ام)

(٢) اي جدير به ، وتفيد معنى التمام والاعتدال .

(المنجد — خلق)

(٣) في الاصل : « عبي » والمعنى تعثر في مسالة :

(٤) من راى ارسطو انه ليس شرطا أن يجيب العالم عن كل سؤال . منطق ارسطو « نظرية البرهان » تحقيق د : بدوي ٢ : ٣٤٥ ط ١٩٤٩ ، وقد قال الفقهاء نفس الفكرة ، يحيى بن هبيرة : اختلاف الائمة مخطوط بدار الكتب المصرية ورقة ٣٣٢ب .

(٥) الاخرق الاحمق الذي لا يحسن عمله « المنجد — خرق » .

(٦) اشوى السهم : اخطأ الغرض « المنجد — شوى » .

(١) من كتب الرازي المفقودة « الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على ابراء جميع العلل ، وان ذلك ليس في الوسع » وكتاب « العلة التي من اجلها صار ينجح جهال الاطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض اكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك » « الفهرست . ٤١ » .

النحرير (١) المسألة التي يجيب عنها اقل تلاميذته علما ، واحلهم (٢) فهما ، لا انه ليس يحفظها ، او لم يقراها ، ولم يسمعها (٣) ، لكن لعوز الكمال (٤) في الانســان (٥) . ويظنون

---

(١) النحرير : الحاذق الفطن العاقل جمعها نحارير (المنجد : نحر) .

(٢) الاحل الذي في رحلة استرخاء ، فالكلمة تفيد معنى التخلف « المنجد . حل » .

ونلاحظ ان الرازي ذو ثقافة لغوية ، بعكس ما يتبادر الى الذهن من ان هذه الكلمات خطا .

(٣) في الاصل : « تسمعها » .

(٤) يعرف الرازي الفيلسوف او الحكيم بانه : « من عرف شروط البرهان وقوانينه ، واستدرك وبلغ من العلم الرياضي والطبيعي والعلم الالهي بمقدار ما في وسع الانسان بلوغه » « السيرة الفلسفية ١٠٨ » .

(٥) هكذا يراف الرازي بالانسان ولو كان عالما ، وهو يطلب من الطبيب ان يكون عالما بقدر الامكان مع الاعتراف بنقصه ، ويقرب من هذا ما يراه بعض المحدثين من ان الطبيب وحده هو الذي ينفرد بين العاملين بصفة العالم ، داتا وانشلي : الطبيب معالجا وعالما ص ١٥ — ١٦ . ترجمة زكريا فهمي — دار الفكر العربي .

بقلة معرفتهم (١) بل يعتقدون ذلك . ان من قرأ نوعا من العلم ، وشرع في فن / من ذلك ، انه لا يجوز ان يذهب عليه مثل ما وصفنا من : نسيان شيء ، او الاغفال عنه او الغلط(٢) فيه . وهذا مما ليس ينكره احد ممن تدرب في نوع من العلوم ، اي نوع كان منه . فاما الاميون والعاميون فانهم يتوهمــون — بل يعتقدون — ان كل من نسب الى علم النجوم (٣) ، فانه

---

(١) ينعي الرازي كثيرا على الجهال ويفضل الاعراض عنهم وعدم اعطائهم شيئا من مؤلفاته ، فهو يقول مثلا في نهاية كتابه « الاسرار » ص ١١٦ :

« هذه اقصى اعمال الحكماء ، فاتق الله وجنبه الجهال ومن ليس منا » . ويقول عن كتابه : « سر الاسرار » . ص ١٣١ :

حرام على من وقع اليه كتابنا هذا ، ان يظهره من ليس منا ، او فاسق ، او سفيه ، او يطلع العامة على ما فيه .

(٢) من كتبه المفقودة « خطا غرض الطبيب » (الفهرست ١٩) في الحديث الشريف « رفع عن امتي الخطا والنسيان » .

(٣) علم النجوم : « علم يتعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية » (التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ١ : ٦٢) .

ويعتمد التنجيم على النظرية القائلة بتاثير النجوم في شئون الانسان وهو اساس علم الفلك القديم ونقل عن الرازي انه يؤمن بتاثير النجوم في عناصر الارض « رسائل الرازي ١٨٦ — ١٨٧ » ولا يستبعد الامام الغزالي تاثير النجوم ايضا .

« احياء علوم الدين ١ : ٣٥ ط الحلبي ١٩٣٩ »

لا محالة يعلم الغيب ، وان من نسب الى الطب فانه يقدر ان يزيل كل مرض (١) ، ويشفي كل سقم (٢) .

انـــواع العلل :

وانما العلل الواقعة لها ثلاثة شروط ، علة واجبة (١) البرء ، وعلة جائزة (٢) البرء ، وعلة مستحيلة (٣) البرء (٤) .

---

(١) للرازي رسالة مفقودة بعنوان : « الطبيب » الحاذق ليس هـو من قدر على ابراء جميع العلل ، وان ذلك ليس في الوسع » .

(الفهرست ٤٢٠ ، فون جرينباوم : حضارة الاسلام ٢٤) ترجمة عبد العزيز توفيق ـــ مكتبة مصر ١٩٥٦) .

(٢) يفهم من هذا ان الرازي يرى لكل انسان طبيعة مغايرة للآخر . ويتفق هذا مع ما ذهب اليه علم النفس الحديث ، من ان الدليل لا يكـون كاملا ابدا ، وان المعرفة بالحقيقة تكون دائما جزئية ، وعلى من ينتظر التأكد التام ان ينتظر ابد الدهر . جون بولبي : رعاية الطفل .

وتطور الحب ص ٢٠٠ ترجمة د. السيد خيري ، وزميليه . دار المعارف بمصر ٩٩ . وليس من سمات الفيلسوف الحق ان يدعي القدرة على حل جميع المشكلات .

(١) في الاصـــل (واجـب) .

(٢) في الاصـــل « جائــز » .

(٣) في الاصـــل « مستحيل » .

(٤) ذكر الرازي في كتابه « المدخل الصغير ورقة ١٠٧ أ » ان اصنـــاف الامراض التي تعتري الجسم اربعة : في الخلقة ، وبمقدار الاعضاء ، وعددها، وموضعها .

فاما الواجبة البرء : فكحمى يوم في اكثر الامر ، وصداع حدث من حر شمس (١) .

واما الجائزة البرء فكحمى عفنيـــة (٢) اصابت (٣) انسان قوي البدن خصيبه ، ولم تكن من جنس الحميـــات الخبيثة . فان مثل هذه الحمى اذا عولجت كما يجب ، وكيفما يجب ، بما يجب ، فانها تزول سريعا . وان لم تعالج فكثيرا ما زادت ، وربما وقفت فلم تزد . واما المستحيلة (٤) البرء فمثل : السرطان (٥) والجذام (٦) والبرص فالطبيب في اكثر

---

(١) الرازي اول من بحث موضوع الاسعاف الاولي ، ضمن كتابـه (من لا يحضره الطبيب) ارجع اليه ط مصر ٥٢ ـــ ٥٣ وقد استعمل لتنشيط الدورة الدموية في علاج ضربة الشمس .

(نوفل : المسلمون والعلم الحديث ٦٧)

(٢) وقد خصص الرازي الجزأين الرابع عشر والخامس عشر مـن الحاوي لعلاج الحميات بكافة انواعها في دقة عجيبة واهتمام كبير بالانسان (الحاوي ١٤ : ٢٧ ، ٥٩ على سبيل المثال) .

ويحكي الرازي انه اصيب بالحمى وعالج نفسه (الحاوي ١٤ : ٥٤) .

(٣) في الاصل (اصاب) .

(٤) لم يعد السرطان والجذام الآن من العلل المستحيلة البرء . لكن الرازي يعتبر المؤسس لنظرية علاج الامراض المزمنة (الحاوي ٢ : ٣٦) وقد هدم بذلك نظرية علماء الطب الاغريق الذين امتنعوا عن علاج الزمني ، وكانت اوربا تضع هؤلاء في السجون وتقيدهم وتضربهم حتى الموت .

(٥) السرطان اورام خبيثة بالجسم ـــ د. محمد زكي شافعي : دائـرة معارف الطب ص ١٦٧ .

(٦) الجذام : مرض معد يصيب الجلد فيخشن او ينعم . وقد يصيب

الامر ملوم (١) ، وعلى اي حال . واما فيما يمكنه علاجه نلطول وقت المعالجة . واما فيما لا يمكنه العلاج فلعجزه عن ذلك .

الرفق وحفظ السر في الطب :

واعلم يا بني انه ينبغي للطبيب ان يكون رفيقا بالناس(٢)، حافظا لغيبهم ، كتوما لاسرارهم ، لا سيما اسرار مخدومه ، فانه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من اخص الناس به ، مثل : ابيه وامه وولده ، وانما يكتمونه خواصهم ، ويفشونه (٣) الى الطبيب ضرورة (٤) . واذا عالج من

الاعصاب ويسبب شللا او عمى ، وعلاجه عسير يحتاج لطول الزمن . راجع الدائرة السابقة ص ٨٩ .

(١) ذكر هذه الفكرة للرازي صاحب عيون الانباء . ٤٢ .

(٢) هذه بعض صفات الفيلسوف الفاضل التي ذكرها الرازي في كتابه الطب الروحاني ص ٩١ : (ان السيرة التي بها سار وعليها مضى افاضل الفلاسفة ، هي بالقول المجمل ، واستشعار العفة والرحمة ، والنصح للكل والاجتهاد في نفع الكل ، الا من بدأ منهم بالجور والظلم ؟ .

(٣) في الاصل : (يفشونه) .

(٤) ما زال هذا معمولا به في مصر ، حيث تنص المادة ٢١٠ عقوبات على ان الطبيب الذي يفشي سر المريض يعاقب بالحبس ستة اشهر ، وبغرامة لا تزيد عن خمسين جنيها — د. يحيى الشريف : الطب الشرعي ١٣ ، ١٩

تساله او جواريه او غلمانه احدا فيجب ان يحفظ طرفه (١) ، ولا يجاوز موضع / العلة ، فقد قال الحكيم جالينوس (٢) ، في وصيته للمتعلمين . ولعمري لقد صدق (٣) فيما قال :

على الطبيب ان يكون مخلصا لله (٤) ، وان يغض طرفه عن النسوة ذوات الحسن والجمال ، وان يتجنب لمس شيء

---

(١) الطرف : العين . او حرفها (المنجد — طرف) .

(٢) جالينوس ١٣٠ — ٢٠٠ م طبيب وكاتب يوناني . ولد في برغامون وعمل جراحا لمدرسة المصارعين بها بعد ان اتم دراسته في بلاد اليونان والاسكندرية ثم اقام بروما وذاع صيته ، وينسب اليه خمسمائة مؤلف اغلبها في الطب والفلسفة . وقد اضاف الى المعارف الطبية اكتشافات وصل اليها بالتجريب ، واكد ان كل مخلوق لهدف معين (راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٥٩٧) ومن الجدير بالذكر ان الرازي يطلق عليه انه (جالينوس العرب) حيث تتلمذ على مؤلفاته ولم يكن دي بور على حق في أتهام الرازي بعدم التعمق في فهم مؤلفات جالينوس « تاريخ الفلسفة في الاسلام ٩١ » كان الرازي ينقد جالينوس احيانا لانه قال بالدهر وادعى في التشريح دعاوى دون برهان (مقالة فيما بعد الطبيعة ١٢٦) .

(٣) لم يكن الرازي يخفي اعجابه باسلافه من مفكري الاغريق كرواد سابقين ، مهدوا للانسانية طريق العلم والحضارة — راجع
Sarvepalli History of Philosophy Eastern and Western. V. — 11. p. 188.

(٤) في الاصل « للطبيب ان يكون لله » .
يوافق الرازي على تعريف القدماء للفلسفة بانها : « التشبه بالله عز وجل ، بقدر ما في طاقة الانسان » (الطب الروحاني ٧١)
وقد ورد تعريف للتصوف ايضا يشبه هذا وهو انه التخلق باخلاق الله.
د. محمد كمال جعفر : التصوف ص ٥ .

من ابدانهن (١) . واذا اراد علاجهن ان يقصد الموضع الذي فيه معنى علاجه ، ويترك اجالة عينية (٢) الى سائر بدنها (٣) . قال : ورايت من يتجنب ما ذكرت فكبر في اعين الناس ، واجتمعت اليه اقاويل الخاصة والعامة . قال ورايت

---

(١) قد اعتبرت نظرية الرازي في اللذة والالم اساسا لمذهبه في الاخلاق ، فهي ترتكز على قمع الهوى بواسطة العقل .

(٢) في الاصل : « عينه » .

(٣) هنا نلحظ مطابقة كلام الرازي لتعاليم الاسلام التي توصي برعاية الجسد مثلما توصي برعاية النفس : كما توصي بغض الابصار من كل من الرجل والمراة عما حرم الله . (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) .

(وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن) .

وكثيرا ما نهى الرازي وحذر من اتباع الهوى . وقد قام كتابه الطب الروحاني على هذه الفكرة . وهو يعتبر الانتهاء عن الهوى مبدأ اساسيا لاصلاح الاخلاق ، فيقول : (ان اشرف الاصول واجلها واعونهـا على بلوغ غرض كتابنا هذا ، قمع الهوى ، ومخالفة ما تدعو اليه الطباع في اكثر الاحوال ، وتمرين النفس على ذلك) (الطب الروحاني ٢٠) وهذا شأن الصوفية ايضا الذين يرون الهوى كله ضلالة (الرسالة القشيرية ١٢٠) .

وفي دراستنا لفلسفة الرازي ص ٢٩٢ قولنا : (ترتكز فلسفة الرازي في توصيته بقمع الهوى ، على تحكيم العقل ، حيث يمجده ، ويعتبره من اعظم نعم الله تعالى التي تستوجب الحمد) وهو يرى أن اللذات لا توجب فضلا للانسان ، ولا ميزة لن نالها على سواه « فان كان كذلك فالثيران والحمير افضل من الناس » .

(الطب الروحاني ٢٥)

من تعاطي النساء فكثرت قالة (١) الناس فيه ، فتجنبوه ، ورفضوه ، وحرم الدخول على الملوك وعلى الخاصة والعامة. فليحذر المتطبب هذه الامور كما (٢) حذرته اياها (٣) .

واجب المريض نحو الطبيب :

ينبغي لمن يختص المتطبب لنفسه ، من الملوك والاكابر والسـوقة (٤) ، (٥) ، ان يبالغ في تطبيب قلبه بلطيف الكلام ، وان يرفعه فوق جميع من في مجلسه من خدمه وغيرهم ، فان هم الا خدام جسم ، والمتطبب خادم روح (١) .

---

(١) القالة : القول الفاشي في الناس خيرا كان او شرا [المنجد — قول] .

(٢) ليست بالاصل .

(٣) قد اوصى فيثاغورس — مثل الرازي — بان يكون الطبيب فاضلا لا معالجا فقط — الشهرزوري : نزهة الارواح — مخطوط لوحة ٥٦ عن مبادىء الرازي : « قمع الهوى وردعه واجب في كل راي ، وعند كل عاقل وفي كل دين » . [الطب الروحاني ٣١]

(٤) من كتبه المفقودة « العلة التي يذم لها بعض الناس وعوامهم الطبيب وان كان حاذقا » . [الفهرست ٤٢٠]

(٥) السوقة : الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث . [المنجد — سوق]

(١) في راى الرازي تختلف طبيعة الروح عن طبيعة الجسم ، فالجسم متحلل سيال والروح ليست كذلك [الطب الروحاني ٢٨]

وقد كنت (١) ــ ذات يوم ــ في مجلس بعض الملوك ، وكان له متطبب اختصه لنفسه فدخل علينا المتطبب ، فغلظ له الملك في القول ، وقال : دعاك فلان الحاجب (٢) الى داره فلم تجبه . فقال المتطبب : ايد الله الملك ــ الاصحاء يحضرون الى الاطباء ، ولا يستحضرونهم ، الا الملك .

فقال الملك : انما كان لك ذلك قبل ان توسمت بخدمتنا . فأجاب المتطبب بجواب اعجب الملك والحاضرين ، فقال : ايد الله الملك ــ ظننت ان خدمته تزيد في الرفعة وعظم القدر لا [في] الضعة وخمول الذكر (٣) . ففهمه الملك واعتذر اليه ، واكرمه ، وخلع عليه .

واشفق من حول الملك به طبيبه ، فان كثيرا من قرابته وخدامه يسرون / بمرضه وموته ، طمعا لوراثة ماله او ملكه ، والطبيب جاد مجد ، في حفظ صحته ، مسرور بدوام عافيته (٤) .

---

(١) يلاحظ ان الرازي يطبق النصائح الطبية على نفسه قبل ان يطالب بها تلميذه . وهي احدى السمات الاصيلة التي يمتاز بها فكر الرازي وسلوكه ــ راجع عيون الانباء ٤١٦ .

(٢) الحاجب تجمع على حجاب وحجبة : البواب ، وربما خص ببواب الملك . ومهنته الحجابة ، اي الستر والمنع من الدخول [المنجد ــ حجب]

(٣) في الاصل « رفعة وعظم قدر ، لا ضعة وخمول ذكر » .

(٤) يقرب من هذا ما يراه اميل لودفيغ من ان الطبيب هو الذي يمسك ميزان السعادة بيديه ــ له ــ الحياة والحب ص ١٤٦ ترجمة عادل زعيتر ــ دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

ولا شيء انكر لقلبه من مرض مخدومه ، فانه يريد ان يدفع عنه علته في اقصر لمة ، واسرع وقت ، واهون علاج . وان لم يمكنه ذلك ، فان للعلل درجات اربعا : ابتداء وتزيدا ومنتهى وانحطاطا (١) .

وان المخدوم اذا احسن الى من يختصه لنفسه من المتطببين ، جد ذلك المتطبب ، في حفظ صحته ومداراة علته . وقد صدق ــ لعمري ــ الحكيم ابقراط (٢) ، حيث قال :

اما برناردشو فيرى عكس راي الرازي ، حيث ذم الاطباء ومهنة الطب : ولعلها تجربة شخصية مرت به ــ له : حيرة الطبيب ١٦ ــ ٢١ ترجمة د. عمر مكاوي ــ دار الفكر العربي ١٩٦٢ .

(١) يلاحظ هنا ان الرازي يميل الى ذكر بعض القوانين الكلية ، ومن كتب الرازي المفقودة « تقسيم الامراض واسبابها وعلاجاتها على الشرح » . [الفهرست ٤١٨]

وكتاب « تلخيص كتاب العلل والامراض » وكتاب « تلخيص كتاب المواضع الالمة » . [الفهرست ٤١٩]

وكتاب « العلة اليسيرة بعضها اعسر تعرفا وعلاجا من الغليظة »

وكتاب « العلل القاتلة لعظمها والقاتلة لظهورها بغتة »

وكتاب « العلل المشكلة » [الفهرست ٤٢٠]

(٢) ابقراط ٤٦٠ ــ ٣٧٠ ق. م ــ طبيب يوناني معروف ، ويطلق عليه ابو الطب . درس باثينا ، واستكمل دراسته خلال اسفاره فصل الطب عن الخرافات والغيبيات ، واقامه على اساس علمي ، فكان له اعمق الاثر في تقدمه ، وكان يهتم بمراقبة احوال المريض ، ولا سيما احوال وجهه ، وهو ما يعرف « بالوجه البقراطي » وعرفه العرب باسم بقراط ، ونقلوا بعض كتبه الى العربية مع شرح وتفسير ، واشهر هؤلاء : حنين بن اسحق ، وعيسى بن يحيى ، وثابت بن قرة ، وعبد الرحمن ابن علي . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ٧ .

صانع الطبيب قبل ان تحتاج اليه . ومما يضرب به المثل : عمله عمل من طب لمن حب (١) .

ولا شيء اجدى على العليل من ان كون الطبيب مائلا اليه بقلبه ، محبا له .

نهي الطبيب عن التكبر :

واعلم يا بني أن من المتطببين من يتكبر على الناس ، لا سيما اذا اختصه ملك او رئيس . وقد قال الحكيم جالينوس: رايت من المتطببين من اذا داخل (٢) الملوك ، فيسطوه تكبر على العامة ، وحرمهم العلاج (٣) ، وغلظ لهم القول . وبسر (٤) في وجوههم (٥) ، فذلك المحروم المنقوص (٦) .

---

(١) هذا مثل يجب أن يحفظه كل انسان ويطبقه في المعاملات الاخرى . وهنا مطابقة في المعنى مع قول الشاعر :

ان المعلم والطبيب كليهما
لا ينصحان اذا هما لم يكرما

(٢) في الاصل : (دخل) .

(٣) يرى افلاطون أن الطبيب هو شافي المريض ، لا جامع المال — جمهورية ٥٦ .

(٤) بسر : قطب وجهه .

(٥) وجدنا تاريخ بعض اطباء اوربا قوما من البدائيين فلم يعترفوا لهم باي فضل ، بل كانوا يودون اخذ اجر من الطبيب ، وكانوا هم الذين قدموا خدمة له ، ومع هذا يفخر الاطباء بانهم لم يتخلوا عن واجبهم . برجسون . منبعا الدين والاخلاق (١٤١)

(٦) للرازي هنا منهج يتم في السلوك الخير . وقد وضحه (في الطب الروحاني ص ٩٢) بقوله : « ان الانسان اذا لزم العدل والعفة ، واقل

قدما الحكيم الى اضداد هذه الخصال التي ذكرها ، وحث (١) عليها .

وجوب علاج الفقراء :

قال : (٢) وينبغي للطبيب ان يعالج الفقراء ، كما يعالج الاغنياء (٣) . وهكذا يجب علينا ان نقتفي السنة التي سنها الحكيم .

من مباحكة الناس ومجاذبتهم سلم منهم على الامر الاكثر ، واذا ضم الى ذلك الافضال عليهم ، والنصح والرحمة لهم ، اوتي منهم المحبة » .

ونلاحظ ان الرازي هنا يحاول اصلاح اخلاق نفوس الاطبــاء قبل ان يبدأ هؤلاء في اصلاح اجسام المرضى ، وقد اهتم الرازي بهذين الجدالين في الطـب . [الطب الروحاني ص ١٥]

(١) في الاصل « وخص » .

(٢) يقصد جالينوس . وكذلك في الفقرة التي بعدها .

(٣) الانسان هو الانسان عند الرازي لا فرق بين غني وفقير في وجوب الرعاية والاحترام . وقد ورد أن للرازي كتابا مفردا في الفقراء والمساكين — الدوميلي : العلم عند العرب ٥٤٤ .

وقد وصف الرازي نفسه بانه كان برا حنونا ، يجد في خدمة الانسان وفي تخفيف البؤس عنه — مجلة المباحث — العدد ٨ من السنة الاولى ١٩٠٩ ص ٢٥٨ — ٢٤٩ .

وكانت رغبة الرازي في علاج الفقراء اشد من الاغنياء : ولهذا سعى اليه المرضى من كل مكان ، وكان يجري على الفقراء الجرايات الواسعة — عيون الانباء ٤١٦ ، اخبار العلماء ١٧٨ .

وتشهد سيرة الرازي بانه طبق هذا الكلام عمليا ، يقول عنه ابن النديم في الفهرست ص ٤١٦) انه كان : « كريما ، متفضلا ، بارا بالناس ، حسن الرافة بالفقراء » .

نهي الطبيب عن العجب

قال : ورايت من المتطببين من اذا عالج مريضا شديد المرض فبرأ على يديه ، دخله عند ذلك عجب (١) . وكان كلامه كلام الجبارين (٢) . فاذا كان كذلك ، فلا كان ، ولا وفق ، ولا سدد . وانما نهى الحكيم (٣) عن هذه الخصال ، لكي تجتنب .

توكل الطبيب على الله تعالى :

ويتكل الطبيب في علاجه على الله تعالى ، ويتوقع البرء منه (٤) . ولا يحسب قوته وعمله ، ويعتمد في كل اموره

---

(١) نهى الرازي بشدة عن العجب ، لانه ضد تقدم المعرفة ، وهو يناقض الخلق الكريم ، فان معظم ادواء النفس نابعة من فرط محبة الانسان لنفسه . [الطب الروحاني ٥٠]

(٢) الجبار . القاهر ، المتمرد [المنجد — جبر]

(٣) يريد به جالينوس .

(٤) هذا رد صريح على من يتهمون الرازي بالالحاد ، فهذه الفكرة تطابق قول الله تعالى : « وعلى الله فليتوكل المؤمنون » وقوله سبحانه : « واذا مرضت فهو يشفين » .

وترى بعض عبارات التوكل في مؤلفات اخرى للرازي مثل : « استعين به (سبحانه) واتوكل عليه » (سر الاسرار ١١٨) و « حسبنا الله ونعم الوكيل » . [برء الساعة ١٢]

كما انه يطالب تلميذا اخر له بمواصلة طاعة الله تعالى فهي سر النجاح : « واظب على الطاعات تكمل لك اعمالك ، ويوفقك الله تعالى لما تؤمله » . [الاسرار ١١٦]

عليه . فاذا فعل بضد ذلك ونظر الى نفسه وقوته / في الصناعة وحذقه ، حرمه الله البرء (١) .

معرفة الحالة السوية قبل المرضية :

وينبغي أن تدخل على مخدومك كل يوم ، وتقعد بالقرب (٢) منه ، وتجس (٣) نبضه (٤) ان اشار بيده اليك ، فان من لم يجس نبض انسان في حال صحته ، لم يمكنه ان يحكم عليه وقت علته .

النهي عن كثرة الكلام :

واياك وكثرة الكلام في مجلسه في هذا العلم (٥) الا اذا ابتداك هو به ، أو ببعض ندمائه (٦) .

---

(١) البرء : الشفاء . [المنجد — برأ]

(٢) هذا يطابق لما يراه علم النفس اليوم من ان دراية الطبيب بالظروف اليومية للمريض تمكنه من اسداء النصح الناجع له — جون بولبي : رعاية الطفل ١٩٣ .

(٣) في الاصل « تجس » .

(٤) من كتب الرازي المفقودة كتاب « اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس » . [الفهرست لابن النديم ٤١٨]

(٥) عاب الرازي سقراط ، لانه في اول حياته لم يكن يستعمل التقية للعوام ولا للسلطان . ثم رجع عن ذلك . [السيرة الفلسفية ٩٩]

(٦) النديم : المنادم على الشراب ، وتطلق على الرفيق والصاحب (المنجد — ندم) .

غذاء المـريض :

ولا تذكر على مائدته (١) ان هذا الطعام يضر عضو كذا او يهيج علة كذا ، وان كان رديء الخلط جدا ، الا بمقدار ما لا بد منه ، مثل ان يجتمع على مائدته (٢) ، السمك والرايب ، او الجبن والبيض ، او اشباه هذه ، مما لا يجوز ان يجمع بينهما في وقت واحد البتة . ويجب ان تعلم (٣) كل يوم كمية طعمه ، وكيفية طبعه ، في قلته وكثرته ، وهشاشته لذلك او كراهته ، فان من علم مطعم انسان ومشربه ، ونومه وسهره ، وفراغه وشغله ، وسائر احواله من الباه(٤) وغير ذلك ، فما اقل ما يقع في علاجه من الخطأ(٥) .

وينبغي ان تأمر له كل يوم ان يتخذ له من الغذاء ما تعلم انه يكون مصلحا لما تناول في امسه من اغذية ، دافعا لما ينتظر من مضرته . ومل في ذلك الى ما يشتهيه ميلانا ما ، فان الطعام المشتهي اوفق للاصحاء والمرضى مما لا يشتهى ، ان كان اردا ، وقدر شرابه وكيفيته وكميته وترتيبه (٦).

(١) في الاصل (مايدته) .

(٢) في الاصل (مايدته) .

(٣) في الاصل « ان يكون تعلم » .

(٤) الباه في راي الرازي احد العوارض الرديئة التي يدعو اليها الهوى . وهو لذة جالبة للاسقام المتعددة ، ولذا يجب الاعتدال فيه تماما .

[الحاوي ١٠ : ٤٥ ، العصى في الكلى والمثانة ٨]

(٥) للرازي كتاب قيم في « منافع الاغذية » ط مصر ١٣٠٥ هـ .

(٦) الكلمة غير واضحة تماما في الاصل.

وإياك ان تحرم على الملوك ، وعلى من ليس من عقلاء الرجال ولا على الصبيان (١) والنساء ، شيئا يشتهونه بشدة (٢) ، لكن امنعهم منه يسيرا يسيرا (٣) ، وحذرهم من الاكثار ، فان ذلك احرى الا يتناولوا منه في السر شيئا كثيرا ، تلاحق ضرر ما يحدث منه ، فان دفع مضار الاغذية (٤) جزء عظيم من اجزاء الطب في حفظ الصحة .

(١) يعتبر الرازي من اوائل المفكرين الذين كتبوا في طب الاطفال كفرع مستقل بذاته . وهو يميز بين علل وعلاج الاطفال والكبار .

Klein : The psycho - Analysis of Children p. 374 London 1954.

(٢) نرى الرازي دائم الاشفاق على المريض ، ومن ثم يجعله استثناء من القاعدة ، ومن كلامه : « ان استلذ المريض الذين عافه منه مرة ثانية » (الحاوي ٥ : ٨) .

وبالنسبة للناقهين من المرض يقول : « اذا اشتهوا من الطعام ما يضرهم ، فيجب للطبيب ان يحتال في تدبير ذلك ، وصرفه الى كيفية موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون بتة » ولعله يبحث عما يلائم طبيعة المريض ليعود الى حالته الاولى (عيون الانباء ، ٢ ، ٤٢) .

(٣) هنا مبدأ التدرج في العلاج والتربية ، وهو مبدأ هام لدى الرازي تشيع روحه في كتبه .

(الطب الروحاني ٣٢)

(٤) للرازي كتاب مطبوع بعنوان : منافع الاغذية ودفع مضارها — مصر ١٣٠٥هـ . وفي الحديث الشريف حقا : « المعدة بيت الداء » .

ولم يفت الرازي ان يحذر كثيرا من الافراط في الطعام والشراب ، لانه يؤدي الى الهلاك السريع . وقد عقد فصلا خاصا لذلك في كتاب الطب الروحاني ، وتشيع هذه الفكرة في جميع كتبه (انظر مثلا من الحاوي ٦ : ٢٢٦ ، ٢٢٨) .

استخـــدام الدواء :

وينبغي لك اذا ناولته شربـــة / او دواء (١) ، ان (تصيب (٢)) منه بمشهده مقدارا ، فان ذلــك ابعد مــن التهمة ، واقرب الى الثقة ، واحرى (٣) بان يعتمد عليـــك ، وتفوض أموره اليك . وليس ذلك ما يجب في كل وقت ، بــل اذا كنت توليت امر ذاك الدواء.. فأما اذا تولاه بعض غلمانه، او صاحب شرابه ، فليس ذلك بواجب عليك .

وقد كنت ذات يوم في مجلس بعض الاكابر (٤) ، واعطاه

ومن مبالغته التي يقدمها للطبيب ، مهما قدرت ان تعالج بالاغذية فلا تعالج بالادوية (منافع الاغذية ٤٤ — ٤٥) .

وقد حشد الرازي في مؤلفاته الحديث عن الوان الاغذية ما يصلـــح منها وما لا يصلح ، وله رسالة مفقودة فيما يقدم من الطعام وما يؤخــر حيث كان يساير بها مظاهر الآداب الاجتماعية في عصره ولا سيما مــا كان متصلا بالولاة . (منافع الاغذية ٢) احمد امين : ظهر الاسلام ١ : ١٠٧ ط ٢ — ١٩٦٢ .

(١) الدواء جزء من الطب ولا يجب ان يعطى الا باذن من الطبيب — راجع د. محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ص ١٣٩ ط ٢ — دار الفكر العربي .

(٢) سقطت من الاصـــل .

(٣) اولى واجـــدر (المنجد — حرى) .

(٤) في التاريخ ان الرازي قد عاش في عصر آل سامان (٢٠٤ هـ — ٣٩٥ هـ) الذين كانوا رعاة الحكمة والعلم والفن والادب ، وكانوا مــن احسن الحكام سيرة ، وازدان بلاطهم بكبار العلماء والادباء ، من امثال : ابن سيناء ، والفردوسي ، والرازي ، الذي اختاروه لرئاسة البيمارستان العضدي ، دليل الثقة به . (الفهرست ٤١٥ ، وفيات الاعيان ٤ : ٢٤٥) .

الطبيب شربة ، فبسر وجهه ، فقال بعض ندمائه :

لم لا اصبت منها ! فقال الطبيب : او كل شربة او دواء(١) يحضر المجلس يجب علي ان اصيب منه . اني اذن من عباد الله المتلفين ! فقال له صاحب المجلس : صدقــت ، وامر بتسليم مفاتيح بيوت الدواء (٢) ، وبيوت الشراب اليه .

---

(١) للرازي اهتمام كبير بمسالة الدواء ، فلا يخلو مؤلف من مؤلفاته من ذكر دواء للروح او للجسد ، وهو يفضل الدواء المفرد على المركب . ولم يصف الرازي دواء الا بعد اجراء تجارب عليه ليتاكد من مفعوله بنفسه ، وقد يراجع القدماء في ذكرهم لبعض الادوية ، وقد خصص القسم التاســع من الحاوي للاقراباذين ، وهي المواد التي تدخل في تركيب الدواء وقــد انتفع به الاوربيون مدة طويلة (د. هاشم الوتري ، والدكتور . معمر خالد : تاريخ الطب في العراق ٢٦) .

(٢) من كتب الرازي المفقودة كتاب « ابدال الادوية » (الفهرســت لابن النديم ٤١٨) وكتاب « اثقال الادوية » (هدية العارفين ٢ : ٢٧) وكتاب « الادوية الموجودة بكل مكان » (السيرة الفلسفية للرازي ١٠٩ ، الفهرست ٤١٨) .

* * *

النهي عن ذكر السموم لدى الامير :

واياك وذكر شيء من السموم القاتلة (١) بـين يدي الملك ، او سوقه ، وتقول : اني اعرفها ، او واقف على شيء منها ، او على ضررها ، فهي بمعزل عن صناعـة الطب . وليس يحتاج الى ذكرها ولا استعمالها . وترك ذكرها اصلح من ذكرها . وان هو سالك عنها فلا تجب عن ذلك ، ولا

---

(١) كان الرازي خبيرا في هذه المركبات ، لانها تتصل بالكيمياء ، وقد اعتبر الرازي ابا الطب الكيميائي ، وكان يجد ان يكون الفيلسوف علـى علم بالكيمياء ، ليستغني عما في ايدي الناس .. وفي عهد الرازي أختلطت الفلسفة بالصيدلية والكيمياء ، ووجد ما يسمى « صيدلية كيميائية » واستطاع الرازي استحضار المثبتات من النبات . (مسالك الابصار) لوحة ٣٠٢ ج ، مجلد ٢ مصطفى لبيب : الكيمياء عند العرب ٤٩ .

وقد لاحظنا بعد قراءتنا لكتابي الرازي : الاسرار وسر الاسرار انهما مؤسسان على فكرة البحث عن العلاج بجميع الادوية المختلفة في ذلـك العصر ، وذلك باجراء تجارب كثيرة معقدة ودقيقة . ترى ماذا كنا نتوقع لو عاش الرازي عصر الذرة ، وتمكن من استخدام الاجهزة الحديثة .

تشرع في ذكرها ، والق نفسك منها جانبا (١) .

وجوب تقريب الطبيب :

ويجب على من استخدم الطبيب ان يقربه من نفسـه ، ويكلمه كما يكلم أخص الناس به ، كيلا يحتاج الطبيـب بينه وبين مخدومه الى سفير (٢) ، فانه ربما يقع بالانسان مـن العلل المستحى (٣) ، منها ما يحتاج الطبيب ان يامر بعـلاج

---

(١) حق لبعض خصوم الرازي من امثال ابن سينا والشهرزوري ان يشهدوا له بالتفوق في الطب ـ الشهرزوري : نزهة الارواح لوحة ٢١٠ وحق لمنصفيه من امثال ابن خلكان ان يقول عن الرازي طبيبا : « كان متقنـا لهذه الصناعة ، حاذقا بها ، عارفا باوضاعها وقوانينها ، تشد اليه الرحال لاخذها عنه » (وفيات ٤ : ٢٤٤) .

ويقول عنه العمري في مسالك الابصار لوحة ٣٠١ جـ ٥ مجلـد ٢ : « فضله المتنوع جم المذاهب . جماع المحاسن الذواهب . واكثر النقل يقف عند سلسلته ، واعمق المشكل به تعرف بمسالته » .

(٢) السفير : الرسول المصلح بين القوم (المنجد ـ سفر) .

(٣) في الاصل : « المستحياة » .

* * *

في ذكره كراهة ، مثل الشيافات (١) والحقن .

فاذا لم يكن المتطبب مقربا فيمنعه (٢) الحشمة او الجبن ان يشير عليه بذلك العلاج ، فربما ادت / حشمته منه الى اتلاف نفسه . كما اني سمعت ان ملكا اصابته علة القولنج ، فاحتاج الطبيب فيها الى استعمال الحقنة ، ولم يكن المالك سمع بوصفها ، اذ كان عاميا لم يشاهد العلماء . فاشار الطبيب عليه باستعمالها . فلما وصفها له ظن الملك بقلة عقله وكثرة جهله ، ان ذلك باستخفاف من الطبيب ، وتهاون بعلاجه ، فغلظ له القول ، وقال : بمن ينبغي ان يفعل ما وصفت ؟! فخافه الطبيب على نفسه فقال : بي . ايد الله الملك ! قال : او ينفعني ذلك ؟ فقال المتطبب قد قيل : انه ينفع . وترك علاجه ، فتلف فيه .

وحكى هذا الطبيب انه لو حقن لفاز ونجا . فلما لم يكن مقربا من مخدومه ، حتى يمكنه ان يباسطه في الكلام ، خافه وترك علاجه ، وكان في ذلك هلاكه (٣) »

---

(١) الشيافات : نوع من الادوية .

(٢) في الاصل : « فيمنه » .

(٣) نلاحظ هنا ايمان الرازي القوي بقيمة الطبيب وضرورة ان يكون في المجتمع اطباء .

وعند التهانوي : كشاف ١ : ٧٢ — ان علم الطب في تصحيح الابدان من فروض الكفاية ونقل استحباب بعضهم تعلم كل انسان من الطب قدر ما يمتنع به عما يضر بدنه .

نهي الطبيب عن السكر :

واياك ومعاقرة (١) الشراب ، اذا كنت معينا لخدمة الملوك والاكابر ، فانه ربما احتاج اليك في وقت فتصادف سكران ، فتصغر في عينه ، ويقع في علاجك من الخطأ (٢) ما لم يمكنك تداركه الا اذا امرك هو به . فاما اذا استعملته بنفسك ، فبمقدار (٣) ما تحتاج اليه في حفظ صحتك ، او دفع علة (٤) (ما) .

---

(١) المعاقرة هنا : ادمان الشراب (المنجد — عقر)

(٢) يحرص ألرازي هنا على ان يكون عقل الطبيب حاضرا معه ، لا سيما وقت العلاج . وقد بين قيمة العقل بانه : « الشيء الذي لولاه كانت حالتنا حالة البهائم والاطفال والمجانين » — الطب الروحاني ١٨ .

ويقول كذلك : « من لم يكن له عقل ولا فطنة ولا حيلة ، فليس بحكيم ، وهو عامي » — سر الأسرار ١٢٠ . وقد صرح الرازي ايضا بضرر السكر ، لما فيه من ضياع شخصية الانسان والقعود به عن ادراك جل المطالب الدينية والدنيوية .

وهو لا يجيز الخمر الا علاجا ضروريا فقط . وفيما عدا هذا ، فانه يلوم السكر والسكير ، لما يجره السكر من ضروب الاسقام والبلايا والمهانة التي لا يرضاها عاقل يحترم نفسه . يضاف الى هذا ان الادمان ضد التفلسف والسعادة — الطب الروحاني ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ .

ومن كتب الرازي المفقودة : « مقالتان في السكر » و « محنة الطبيب وكيف ينبغي ان يكون حاله في نفسه وبدنه وشربه » الفهرست ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٣) في الاصل « فبقدار » .

(٤) قد اوصى ابقراط من قبل بالا يكثر الطبيب من شرب النبيذ حتى لا يفسد ذهنه ، خوفا على مريضه — علي المجوسي : كامل الصناعة الطبية ١ : ٨ .

ملازمة الطبيب للمريض بعد الدواء :

واذا اسقيته المسهل (١) والمقيء ، فينبغي لك ان تلزمه ، لئلا يخطىء في الطعام والشراب .

قيل : وفيه الذي يجب فيه ، فان من المترفين من تقدم بقلة ضميره وكثرة شرهه ، على ان مرض سنة ، لآفات / كثيرة ، فيصيب من الطعام (٢) ، وقد بقي في معدته شيء من حنذة (٣) الدباغ ، او من رائحته ، فيخلط ذلك بالطعام ، ويعطيه طبعه ، صار الطعام مسهلا .

وربما دام ذلك اياما ، وجلب على صاحبه امراضا ، واصابه مغص يقطع في بطنه . ولا يكاد يقبل العلاج الا بكد شديد ، وبعد جهد ، واتعاب نفس . وربما دام ذلك الاسهال

---

(١) اضاف الرازي الى الصيدلة استعمال المسهل المحلي والمقاعم : لمعالجة داء السكتة والربد — الحاوي ٢ : ٥٨ ، هنتر بابات : مجالس الاسلام ١٤٦ .

(٢) من كتب الرازي المفقودة « اطعمة المرضى » الفهرست ٤٢٠ .
(٣) في الاصل « حندة » اما (حنذة) فهي الحرارة الشديدة .

❋ ❋ ❋

اياما وشهورا (١) .

ضرر كتمان السر عن الطبيب :

ومن اعظم الخطأ ، انه اذا فعل ذلك ، كتمه الطبيب ، مريدا (٢) بذلك دفع اللائمة عن نفسه . ومن اخطأ خطأ وكتمه ، فقد جنى جنايتين ، وارتكب خطيئتين (٣) . والطبيب لا يهتدي لعلاجه اذا لم يفش اليه سره .

فمن اجل هذا ، يجب ان يلازمه الطبيب ، من الوقت الذي يسقيه المسهل ، الى ان يستفرغ ويفرغ (٤) ، فان ذلك من احزم الامور ، واوكدها في حفظ الصحة ، وبتر (٥)

---

(١) يرى الرازي ان في الجسم الانساني اربع قوى طبيعية : جاذبة وماسكة وهاضمة ودافعة . وكثيرا ما حذر من اعطاء المريض دواء او غذاء يسقط قوته ، كيلا تقل مناعته ضد الامراض — الحاوي ٢ : ٢١ . وان اسمى الوان الطب اليوم هو ما كان للوقاية . وكان الرازي يهتم بالوقاية اهتماما فائقا ، وقد شاع هذا النهج في معظم كتبه — انظر مثلا من الحاوي ١ : ٦٩ ، ٨٨ .

(٢) في الاصل « مريد » .

(٣) هذه قاعدة عظيمة ، ينبغي ان يراعيها كل عليل ، كيلا يشمحل الطبيب ، فيتاخر شفاؤه ، او لا يهتدي الطبيب الى هذا الشفاء .

(٤) من كتبه المفقودة كتاب « استفراغ المحمومين قبل أنضج » — الفهرست ٤١٩ .

(٥) في الاصل « وبن » .

الامراض والعلل ، ودفـــع الملامـــة عنه وعـــن نفسـه ، بسببه (١) .

وقد سقيت — في بعض الاوقات — فتى قريب السن من المترفين المسهل ، فاخطا في ذلك خطأ كتمتنيه ، استحياء ، اذ (٢) كان مراهقا (٣) .

وكان قد قارب في الليلة التي شـــرب فيها المسهل ، بعض خطاياه فاصابه بعقبه ضعف ، ووجع في كــلاه . فلما تفشت من حاله ، اخبرني بعض خدمه بما فعل ، فعالجته ، فبرئ . وقد كنت قدرت ، انه لو لم يكن اخبرني (هؤلاء) ، لطالت به المعالجة والعلة (٤) .

فصد المريض بعد معرفة حاله :

واذا اردت اخراج الدم له بالفصد (٥) ، فيجب ان تجس نبضه // ، وتتفقد بوله ، لا سيما اذا كنت قد اتصلت بخدمته منذ قريب .

---

(١) كثيرا ما يحس القارئ ، ان الرازي خبير بطبائع النفوس بالاضافة الى خبرته في طب الجسد . وقد اعتبرت حياة الرازي نموذجا لحياة الافذاذ الموهوبين المتعددي المواهب ، فهو : فيلسوف وطبيب وعالم طبيعي . وبالجملة هو ذو عقلية تركيبية موسوعية . وسوف ننشر دراستنا عـــن فلسفته ان شاء الله تعالى من مكتبة الانجلو المصرية بعنوان « اصول الفكر الفلسفي عند ابي بكر الرازي » .

(٢) في الاصل : « اذا » .

(٣) في الاصل : « واهقا » .

(٤) في الاصل : (لطالت بره المعالجة وبه ألعلة) .

(٥) الفصد : شق عرق المريض .

قلما من ابتدت به الايام في الخدمة ، وعرف عـــادة المخدوم ، فانه قد يمكنه ان يشير عليه باخراج الدم ، بغير هذين ، من حمرة لون ، او در (١) عرق ، او رعاف (٢) ، او غير ذلك ، مما يدل على غلبة الدم (٣) في كميته ، او رزانة في كيفيتـــه .

واعلم انه ليس لمن يلازمه الطبيب ، لصحته ، او يعتاد علاجه لخدمة او عادة (٤) . . . من غير أن يكون غير مشار الطبيب في وقت صحته وايام سلامته ، في اعتماد غذاء ، او اخراج دم او شرب دواء .

حتى اذا نزلت به علة ، او اصابته آفة ، فحينئذ يفزع الى الطبيب فلم تره (٥) يمكنه ان يعرف من احواله في ذلك

---

(١) في الاصل : « دور » .

(٢) الرعاف : نزيف من الانف بسبب حمى ان لطمة او غير ذلك — راجع د. محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ص ١٥٢ ط ٢ — دار الفكر العربي .

(٣) نلاحظ هنا ، ان الرازي يهتم بعنصر الدم في العلاج ، لانـــه يرى الدم او الطبائع التي ركب منها الجسم ، وتوضيح هذا انه يرى الانسان عالما صغيرا ، وقد خلقه الله تعالى وركبه من اربعة طبائع متضادة فـــي طبعها وهي : الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء — الرازي : المدخل الصغير الى علم الطب — ورقة ١٠٦ مخطوط .

(٤) في الاصل كلمة غير واضحة ، ورسمها هكذا : « مكرادري » .

(٥) في ألاصل : « لم تـــره » .

الوقت ، ولو كان من أمهر الناس ، واقدرهم على البحث (١) ، والقياس (٢) ، ولا سيما اذا كان ما أصابه علة حارة ، لا تمهله (٣) ، أن يستعد لصناعته ، ويبحث عن أحواله ، وما جرى عليه من عاداته .

ولذا قال الحكيم ابقراط : « العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والوقت ضيق » . وانما صار الوقت ضيقا ، لأن الاوقات التي تستعمل فيها العلاجات الجزئية ، كل يوم (٤) ، لسيلان العنصر الموضوع للطب ، وهو أبدان الناس (٥) .

وقد صح لي في هذا الباب بالتجربة (٦) ، شيء عجيب

---

(١) تميزت فلسفة الرازي — مثل الفلسفة الحديثة — بشيئين ، تحرير العقل من الجمود والتقليد ، ثم استخدام القياس والتجربة لترقية العلم .

(٢) القياس معناه المشابهة . وهو في المنطق : قول مركب من قضايا اذا سلم بها لزم عنها لذاتها قول آخر .

(٣) في الاصل : « لا تمهله » .

(٤) في الاصل عبارة مكررة مع الجملة السابقة وهي : « وانما صار الوقت ضيقا » .

(٥) هذه الفكرة موجودة في كتاب الرازي « الطب الروحاني ٢٨ » حيث يرى أن الجسم من جوهر متحلل سيال ، ولا بقاء لمتحلل الا بأن يخلف بدلا مما تحلل منه .

(٦) الرازي فيلسوف ذو اتجاه تجريبي دقيق . ولايمانه بالعقل اكد اهمية التجربة ، ولا سيما في الطب ، الذي هو في تطور مستمر . ومن رأيه الا يثق الانسان في طبيب مهما كان شأنه ، الا ان يبلغ مرحلة التجريب بنفسه — الحاوي ١٢ : ٨٥ ، عيون الانباء ٤٢١ .

وذلك انه كان لي صديق ، كثيرا ما كان يختلف (١) الى ما عندي . وكان يعتريه في بعض الاوقات خناق بلغمي (٢) .

فدخل علي يوما ، وقد احمر وجهه ، وبرزت (٣) عروقه // ، مثلما يكون عليه اوجه السكارى . فسألته (٤) عن حاله ، فقال :

كنت جالسا في دكان عطار ، احدثه ، فشق نافجة مسك (٥) ، وسحق منه شيئا صالحا (٦) على صلابته . فجاء الي ما عندنا رجل في عقلـه بعض الخلل ، يشتري منه الطيب .

---

(١) في الاصل : « يخلف » .

(٢) هو الربو التشنجي . وجاء في كشاف التهانوي ٢ : ٤٢٠ « الخناق — بالضم وتخفيف النون — عند الاطباء ، وهو ورم في عضلات الحنجرة والتمنع ، وهو موضع بين اللهاة وشوارب الحلقوم . وارداه الكلبي ، وهو الذي يخرج صاحبه دائما الى فتح فيه وولغ لسانه » .

(٣) في الاصل : « وبرزت » .

(٤) هذا مبدأ هام لدى الرازي ، وهو مبدأ المساءلة ، فان المريض كثيرا ما يكون اعلم بالسبب من غيره .

(٥) النافجة : الجلدة التي يجتمع فيها المسك . وهذا المسك طيب من دم دابة كالظبي يدعى (غزال المسك) والقطعة من المسك تدعى مسكة .

(٦) في الاصل « صالحا » أيا « الصالح » بالجيم ، فهو الشديد الايبس .

فلما اشتغل العطار بذلك ، اخذ الرجل المؤوف (١) ما على الصلاية (٢) من المسك ، ولم اكن احفظ نفسي منه فاذا انا به ، وقد نفخه في انفي بفمه على ما ترى .

ومكث عندي هنيهة ، وتلم وخرج ، فخر في الطريق ، واخذته العلة التي كانت تعتاده على الايام . فذهب به الى دارة صديق له ، ودعا بمطبب غريب ، لم يعرف حاله ، فظن ذلك الطبيب انه خناق دموي ، ودعيت انا .

فلما ان دخلت عليه ، فاذا انا بالمتطبب ، وقد [شمر عن (٣)] عضديه ، واستعد ان يفصده القيفالـين (٤) . فنهيته عن ذلك ، ومنعته من فصده . وعالجته من العلاج بما كانت عرفته (٥) ، فبرأ . ولو فصده لعمل في اتلاف نفسـه (٦) .

---

(١) في الاصل « المؤلف » . وكلمة « المؤوف » تعني العاهة والفساد .

(٢) في الأصل « الضلاية » والصلاية : بدق الطيب .

(٣) ليستا بالاصـل .

(٤) القيفال : عرق في الذراع يفصد .

(٥) وقد يوجب الرازي ، الفصد في بعض العلل ، ففي الحاوي ٦ : ٢٢ (انا امر بالفصد في جميع العلل الامتلائية والصعبة ، وهي كالنقرس والرمد ووجع الكبد) .

(٦) ان النزعة التجريبية لدى الرازي ، تشير الى تفاؤله . وقد بدا تفاؤله واضحا في ميدان الطب . وان كتابه الحاوي مع ضخامته ليزخر بهذه النزعة ، حيث يتجه كله الى غاية واحدة ، هي الرأفة بالانسان .

ورايت مرة رجلا اصابته علة ، فجاء طبيبا ، فأمر له بدواء يستعمله على مر الايام ، فكان لعلته شافيا .

فاصابت هذه العلة بعينها ، رجلا اخر . فعلمه الرجل الاول ذلك الدواء . وكان الرجل الثاني يعتريه الصراع (١) . فكان كلما تناول منه يصرع بعقبه ، غير أنه كان ينفع العلة التي اصابته . فجاءني وشـــكا الي فاستوصفته الدواء ، فوصفه لي ، فكان فيه بذر // الكرفس (٢) ، فالقيته منه فاستعمله بعد ذلك ، فكان لا يصرع ، وينتفع نفعا بينا .

ويحتاج في استعمال صناعة الطب الى طول الملاقاة (٣)، فان من صاحب انسانا سنة ، اعلم لطبيعته ممن صـــاحبه شهرا . ويجب (٤) في ذلك ان يكون الطبيب قد احكم الاصول، وقرأ الفروع (٥) ، فانه من غير هذين لا يصح له شيء (٦) ، ولا يهتدي لامر من الامور في الصناعة ، فعليهما فاعتمد .

---

(١) الصرع : اضطراب عصبي ، يظهر بشكل نوبات فقد وعي ، مع تشنجـات .

(٢) الكرفس ، عشب له ساق قصيرة ، وتؤكل عروقه ، وتستعمـل تابــلا .

(٣) هذا مبدأ عظيم في الطب . بعكس ما نراه اليوم من سرعة بعض الاطباء في الكشف على عدد كبير من المرضى .

(٤) يفهم من لفظة (يجب) هنا ، أيمان الرازي بالمسؤلية الفردية للطبيب . وهو اصل علم من اصول فلسفة ــ للسيرة الفلسفية ١٠٢ .

(٥) فكرة الرازي هنا تبطل القول بان العرب او المسلمين ، لم يكونوا يعرفون المنهج العلمي السليم ، بمنهج القوانين ، كلية وجزئية . وقد صرح الرازي بهما في كتابه : منافع الاغذية ٥٥ .

(٦) حق لبعضهم ان يقول : (ان الطب كان متفرقا فجمعه الرازي) .

النهي عن التجربة في المريض :

ودع ما يهذي (١) به جهال العامة ، ان فلانا قد وقعت له التجربة في غير علم يرجع اليه ، فان ذلك لا يكون ، ولو كان من اطول الناس عمرا ، وما نفع له من علاج موافق ، فهو من حسن الاتفاق (٧) .

فاعلى درجات هؤلاء ، الذين ليسوا يرجعون الى علم اصول الصناعة ، انهم ينظرون في الكتب ، فيستعملون منها العلاجات . وليسوا يعلمون ان الاشياء الموجودة فيها ، ليست هي اشياء تستعمل باعيانها ، بل هي مقالات جعلت ليحتذى عليها ، وتعلم الصناعة منها .

ولو لم يكن من امر التجربة الا ما قاله الفاضل جالينوس (لكفى) : انا انهى جميع من استشارني في صناعة الطب ، ان يعالج بالتجربة .

---

(١) الهذيان : الكلام بغير معقول ، لمرض او غيره .

(٢) كانت محاربة الرازي للدجل في الطب سببا في تمجيد الدارسين المتصدين له — الدوميلي : العلم عند العرب ١٧٨ .

وقد (١) نهى عن ذلك المعلم الحكيم ابقراط ، حين ابتدا فقال : العمر قصير ، والصناعة طويلة ، والزمان جديد ، والتجربة خطر (٢) . فلقد صدق لعمري في قوله ! . واني انهى عن التجربة في صناعة الطب (٣) .

ورايت : رجلا من (المدعين (٤)) ، يعالج عليلا اصابته صفراوية ، فسقاه (شيئا (٥)) يعقل لسانه ، فعوتب في ذلك ، (فذكر انه قرا ذلك في كتاب يعالج هذا المرض) (٦) .

---

(١) في الاصل : « فقد » .

(٢) ان الرازي من انصار التجربة ، لكنه كان يرفض تجربة الدواء على الانسان المريض ، فمن منا يرضى بذلك لنفسه !!

(٣) كان الرازي يجرب العقاقير على الحيوان ، قبل اعطائها للانسان ، مثلما جرب في قرد بعض مركبات الزئبق ، ومن جهة اخرى كان يبحث عن علاج الحيوان ، فلم تكن عنده ضرورة ما ، انظر له : الحاوي ١ : ٩٢ ، الخواص — ورقة ١٢١ ا .

(٤) في الاصل كلمة غير واضحة .

(٥) في الاصل عبارة غير مقروءة .

(٦) في الاصل عبارة : « فقال في كتاب له ينفع من لبس الصقر » .

واخر يسقي عليلا ، لورم صلب دموي كافورا (١) ، فاضر به اضرارا شديدا .

ودخلت (٢) مرة قرية (٣) مجتازا بها ، فبقيت هنالك اياما . فرايت شيخا ، كان بحضرة باب مسجده بالغداة قوارير الماء . فكان يامر باشياء كما يتفق له ، ويخطر بباله ، ويجري على لسانه (٤) .

فسالتهم عن حاله فقالوا : « ان له كتبا كثيرة في الطب ، وقد عرف طباعنا بالتجربة » .

---

(١) الكافور : زيت طيار ، صلب في درجات الحرارة العادية ، يحضر من شجر الكافور بالصين واليابان ، ويستخدم في الطب وغيره .

(٢) ما اشبه الرازي بالجاحظ ، في الاسلوب السلس الرقيق ، وفي سوق بعض الحكايات التي وقعت له او امامه ، او رواها واحد ممن يوثق به ، وذلك برهان على صحة ما يقول ، وكثير منها لا يخلو من دعابة وطرافة ، لكنها تتسم بالعمق والدقة العلمية — انظر بعض هذه الحكايات له في : الطب الروحاني ٧٠ ، الخواص — ورقة ٧٠ .

(٣) في الاصل « قريته » .

(٤) من كتب الرازي المفقودة كتاب : « الاسباب المميلة لقلوب الناس عن افاضل الاطباء الى اخسائهم » — الفهرست ٤١٧ .

فقتل الشقي بعلاجه المنكر ، من مدة ما كنت هناك عدادا من الناس . فعجبت من غباوتهم وشقاوته ، ومن جهالتهم وجراته . ولو خليت المرضى والطبيعة (١) ، ولم تعالج البتة ، خير لهم ، واعود عليهم ، من [أن] يستشفى بمثل ذلك الطبيب (٢) .

ولو ان رجلا استوعب مدة عمره ، فانه لا يصح له من التجربة ، أن الاسهال معالج بطلك الراس بالخرق الخشنة ، (فيستريح المريض) (٣) ، وان السعال ربما يؤدي الى السل ، ان لم يلطخ الراس بدواء الخردل (٤) ، حتى يسقط وينفتح .

---

(١) يلاحظ أن فكر الرازي يحمل طابعا انسانيا عاما ، ولعله السر في الاعتماد على كتبه مترجمة او غير مترجمة باوروبا مدة طويلة .

(٢) هنا يبدأ ارتكاب اخف الضررين . وهو مقبول شرعا ، ويميل الرازي دائما الى الشفقة بالانسان ، حيث يتاذى من وقوع الالم به ، الا بقدر الاصلاح والعلاج — الطب الروحاني ٣٢ .

(٣) قد يبدو هذا الكلام غريبا من الرازي ، لكن العلم يقول باكثر من هذا فقد نشرت صحيفة الاخبار القاهرية يوم ١٩٧٥/٨/٨ ان احد الاطباء الانجليز اكتشف علاج الروماتيزم ، بضرب المريض باكياس من الرمل بقوة في مواطن المرض .

(٤) الخردل : نبات حولي من نباتات الدنيا القديمة .

التحذير من ادعياء الطب :

واعلم ان اللصوص وقطاع الطريق ، خير من اولئك النفر الذين يدعون الطب ، وليسوا باطباء ، لانهم يذهبون بالمال (١) . وربما اتوا (٢) على الانفس ، وهؤلاء كثيراً مما يأتون على الانفس النفيسة (٣) .

وان من اضطر الى ذلك ، لحاجة او سد مجاعة ، خير ممن هو مستغن عنه ، يريد بذلك التشدق والسمعة ، كي يقال : ان فلانا يرجع اليه في علم الطب (٤) .

واكثر هؤلاء يرجعونه الى الزهد ، وصيانة النفس // . ولو امسكوا عنه لكان جزاء لهم دينا ودنيا ،

(١) هكذا يكره الرازي ان يكون الطبيب جشعا مستغلا ، وقد حارب هذه الظاهرة ايضا في كتابه برء الساعة ص ٨ .

(٢) في الاصل « اتموا » .

(٣) يقول الرصافي عن الرازي في مجلة المقتبس ص ٦٠٨ ج ١٠ المجلد الثالث نوفمبر ١٩٠٨ :

وكان حليف الجد لم يأل جهده   يدحض خصوم العلم من كل هزال

(٤) في الاصل « ان فلانا يرجع الى علم الطب » .

وآخرة واولى (١) ، فان من اصعب الامور التحكيم على الارواح بغير معرفة ، والامر بشيء ، والنهي عن غيره من غير بصيرة .

وان الواحد منهم ربما بلغ به الامر من الصيانة ، انه يذبح نفسه من غير ان يتكلم (٢) بين اثنين في شيء حقير من حطام الدنيا ، (كيلا يبوء من ذلك باثم (٣)) ، ثم يخبط منهمكا على وجهه في التحكم على ارواح الناس (٤) ، من غير بحث

(١) هنا مبدأ عظيم لكل انسان ، وهو ان الاحجام عن الاضرار بالغير يعتبر عملا صالحا ، ينال صاحبه الثواب عليه .

(٢) في الاصل « تكلم » .

(٣) في الاصل : « كيلا تحصت في ذلك باثم او يبوء منه لوزن » .

(٤) نلاحظ هنا ان الرازي يحترم الانسان تماما ، ويخاف عليه من الموت قتلا ، وهذا ايضا لا يتناقض مع ما ذهب اليه من انه لا يصح الانسان الفاضل ان يخاف من الموت ولا سيما : « الانسان الخير الفاضل المكمل لاداء ما فرضته عليه الشريعة المحقة ، لانها قد وعدته الفوز والراحة والوصول الى النعيم الدائم » ــ الطب الروحاني ٩٦

ولا قياس ، ولا اصل يبنى عليه ، ولا فرع يرجع اليه (١) .

فبعضهم يفعله متنشيا ، وبعضهم يفعله محتسبا . وقد يصح لمن احكم الاصول من علم الطب في يوم واحد ، من حال من يريد علاجه ، اذا بحث عن ذلك ، ما لا يصح لغيره في سنين كثيرة ، من اصحاب التجارب .

وقد اخبرتك قبل ، ان الحكماء قد ينهون عن استعمال التجربة في صناعة الطب . وقد اعلمتك قصة صاحب الخفاق البلغمي ، والمتطبب الاجنبي ، لتعلم ان من يعتاد علاج انسان ، ويعلم عاداته ، او يلازم اميرا ، ويعرف سيرته ، قد يصح له من احواله اشباه ما وصفت لك .

ولولا ما كان من اجل ما وصفنا ، ما استخلص الملوك والامراء لانفسهم الاطباء ، وآثروهم على جميع خدمهم ،

---

(١) يطالب الرازي دائما بتطبيق المبادىء الاخلاقية السامية على الطب . ومن هنا اعتبر ممثلا للاتجاه المنهجي المقنن للدراسات الاخلاقية ، ويمكن اعتباره مصلحا اجتماعيا ، الى جانب كونه عالما وفيلسوفا .

واشركوهم في اموالهم ونعمهم (١) وقدموهم على سائر خواصهم (٢) ، لانه لا شيء اجل من العافية ، ولا الذ من حياة في سلامة .

تواضع الطبيب :

واعلم ان التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال ، [دون ضعة النفس (٣)] . لكن يتواضع بحسن اللفظ // ، [وجيد الكلام (٤)] ولينه ، وترك النظاظة والغلظة على الناس (٥) .

---

(١) يرى الرازي ان البخل صفة ذميمة يدعو اليها الهوى ولا سيما بالنسبة للقادر على الكرم . الطب الروحاني ٦٠ .

(٢) بالرغم من هذا لم ينتهز الرازي الفرصة للثراء ، لانه كان زاهدا . « السيرة الفلسفية ١١ » . ويرى انه لا يصح ان يكتسب الانسان مالا كثيرا نظير العمل الذي يزيد عن طاقته ، والا يصبح عبدا للعمل . لكن عليه ان يوازن بين دخله ومنصرفه . « الطب الروحاني ٨٢ — ٨٤ » .

(٣) في الاصل : « لكن لا ضعة النفس ولا قلتها » .

(٤) في الاصل : « وحسن اليه والرغبة في الجنس وحفظ الكلام » .

(٥) وفي القرآن الكريم خطاب للرسول عليه السلام : « ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .

فمتى كان كذلك . فهو المسدد الموفق . وكذلك امرنا بهذه الخصال المحمودة ، التي اشرت بها عليك ، الفاضل جالينوس .

وقد كنت يوما في مجلس بعض الملوك ، وكان له متطبب اختصه لنفسه ، وقدمه على سائر من بحضرته فامرت له بدواء ، وكان يحتاج اليه في ذلك الوقت : وكان في المجلس رجل من اقرباء الملك ، له مكانة ومنزلة عنده .

فقال له المتطبب : ائتني بحقة كذا ، فقام من مجلسه كارها ، وهو يقول في نفسه : ارى كل نذل (١) يحكم علي حكمه على عبيده ، فسمعه الملك ، فقال :

ان من جوزت له ان يحكم على نفسي وروحي ، لست انهى (٢) ان يحكم على غيري ، ولو كان اقرب الناس الي واكرمهم علي ، فاستبشر بذلك الرجل ، وطابت نفسه بقول الملك .

وعالجت في بعض الاوقات ملكا ، وكان لي عنده مكانة ومنزلة ، اذ (٣) كان الرجل بنفسه فاضلا . فاصابه ورم

(١) النذل : الخسيس المحتقر ، لسقوطه في دين او حسب .

(٢) في الاصل : « انها اي » .

(٣) في الاصل : « اذا » .

حار ، ففصدته واستكثرت من اخراج الدم ، اذ (١) كان يجب اخراجه الى حالة العشا (٢) ،فاصابته غشية صعبة ، فهولته جـدا .

فجعل من حوله من خواصه وخدمه يبكونه . واهابهم ذلك ، وانا اعالج العشا بما يجب ، لا اكترث بقوته وهوله .

فلما افاق راى بعض خدمه يبكي ، وبعضهم يشد النظر الي ، فقال لي : انه لم يكن لي برء العشا ، وما دام معي شيء من عقلي يهتم ، ولا فكر الا الاشفاق عليك من ان ينالك / بعض خدمي بجهالته بكلمة باردة . وقد وثقت منك انك لو لم تعلم اني محتاج ان اصير من اخراج الدم الى العشا ، لم تخرج ذلك . ولست اكلفك بفصدي (٣) بعد اليوم بحضرتهم ، بل في الخلوة .

ونخلص بذلك الفصد من علل كثيرة ، قد اشرف عليها ، وحفظت صحته باذن الله تعالى ، مدة مقامي معه ، من اوجاع شتى كانت تصيبه على الايام ، لانه لم يكن ياكل ويشرب (٤) ، ولا ينام ولا يسهر ، ولا يتقاضى (٥) ، ولا يستحم ، الا بمشورتي واذني ، وبمرأى مني .

(١) : « اذا » .

(٢) في الاصل « العشي » والعشا : سوء البصر بالليل والنهار ، او بالليل فقط .

(٣) في الاصل : « فمهدي » .

(٤) من كتب الرازي المفقودة « ترتيب اكل الفواكه » .

(٥) في الاصل « لا بد تقاضي » .

وكان في اثناء ذلك مطيعا (١) لي مجيبا الى العلاج ، في جميع ما اشرت به من ذلك عليه . وكذا يجب ان يكون الرئيس اذا اراد الانتفاع بعلم الطب (٢) .

وان الطبيب بمثل هذا يسعد ، وهو [يسعد] باستخدامه اياه . ولو لم يكن لصناعة الطب وللاطباء ، من الفضل ، الا ما انا ذاكره ، لكانت فيه كفاية .

فضل الاطباء :

فانه قد اجتمع لهم (٣) خمس خصال لم تجتمع لغيرهم :

الاولى : اتفاق اهل الملل والاديان على تفضيل صناعتهم .

والثانية : اعتراف الملوك . والسوقة بشدة الحاجة اليهم ، اذ هم المفزع والغياث ، حين لا ينفع عدة ولا عشيرة .

---

(١) طاعة المريض للطبيب عنصر هام لتحصيل الشفاء سريعا ، لا سيما اذا اضيف اليها علم متين للطبيب — وفيات ٤ : ٢٤٥ .

(٢) يستحسن الرازي ان يلزم المريض طبيبا واحدا ، لان لكل طبيب خطاه — عيون الانباء ١ : ٤٢١ .

(٣) في الاصل : « له » .

والثالثة : مجاهدة [ما غاب (١) عن] ابصارهم (٢) .

والرابعة : اهتمامهم الدائم بادخال السرور والراحة على غيرهم (٣) .

والخامسة : الاسم المشتق من اسماء الله تعالى .

ولو لم يكن من فضل الطبيب ، الا ان الانسان ربما يتشوق اليه ، حين يسلم اكرم الناس عليه ، فاخصهم لديه / ، فانه (٤) في العلل الصعبة ربما يكره الانسان لقاء اهله وولده ، ويشتاق الى الطبيب ، ويتروح برؤيته ، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته — لكان فيه مندوحة عن غيره .

وحكى لي غير واحد من المرضى : انه يجد في نفسه راحة عند دخول الطبيب عليه ، وكونه عنده ، ما لا يجد في غيره من الاوقات .

---

(١) في الاصل : (مجاهدة من اجاب عاينه من ابصارهم) .

(٢) يوجب الرازي على كل طبيب ان ينقب على العلة مهما خفيت — الحاوي ١ : ١٢٨ .

(٣) اوجب الرازي على الطبيب ان يوهم مريضه بالصحة وان لم يكن واثقا منها — عيون الانباء ٤٢٠١ .

(٤) في الاصل : (فان) .

لا كهانة في الطب :

وإياك ان يغلطك المخرقون (١) المموهون على الناس ، بحضرة مخدومك ، فيكلفونك استخراج أشياء ليست من صناعة الطب ، مما يعتقدها الكهنة (٢) : انه قد يمكن المشاهد ان يعرف جميع ما بالعليل من امره ، اذا نظر الى ما به ، او جس نبضه ، لا بل يعرف ما اكل من قبل ذلك ، وراود من سائر اموره ، والفرق بين الابوال ، وهذا من اعظم الكذب والباطل على صناعة الطب .

ولهؤلاء المخرقين ـ اخزاهم الله تعالى ـ في ترويج حيلهم عند العامة ، انواع من الحيل ، وزرق (٣) لطيف جدا . وقد شرحنا هذه الامور في مقالتنا (٤) التي الفناها في هذا المعنى .

---

(١) الحق ان كتابات الرازي قد عبرت عن اصالة فكرية حرة ، بخروجها على الشائع والمألوف .

(٢) في الاصل : (الكهنة) .

(٣) اي حيلة وخفة .

(٤) يمتاز الرأزي كفيلسوف بكثرة تآليفه في موضوعات متنوعة .

فربما امر المخرق مرافقه (١) ان يجعل بدل البول في القارورة (٢) ماء التين ، او ماء نقع المشمش ، فيرده (٣) اليه بحضرة من الناس فيغضب لذلك المخرق ، ويتناوله ويشربه .

وربما يدفع اليه ماء ... (٤) في قارورته بول الشاة بمرأى من العوام ، فيقول يحتاج الى زيادة ... (٥) ، فيصدق (٦) ذلك كثير من اهل العقل والتمييز ، فضلا عن سواهم .

وانما صرت بحيث لا يخفى علي شيء من هذه الامور ، لاني كنت / في حداثتي اتعاطى العزائم والمخاريق ، فصار لا يخفى علي اثر (٧) وجوهها .

وقد رايت من هؤلاء اشياء (٨) ذكرت بعضها في تلك المقالة ، التي بينت فيها طرقا من حيلهم .

---

(١) في الاصل (مراطنه) .

(٢) وعاء يجعل فيه الشراب او الرطب او التمر .

(٣) في الاصل : (فيرقه) .

(٤) في الاصل : (نيموسة) .

(٥) في الاصل : (حشش) .

(٦) في الاصل : (فعير) .

(٧) في الاصل : (النثر) .

(٨) في الاصل : (الاشباء) .

اما انا فقد دفعت الى هذا النوع غير مرة ، من اقوام نظرت في بولهم (١) ، او جسست نبضهم (٢) . فلما راوني الح عليهم في المسالة عما تعل (المريض) واكل واصابه في علته ، (وغير (٣)) ذلك من الاعراض والدلائل والعلامات ، من النوم والسهر ، وكيفية الوجع ، رايتهم قد تبين في وجوههم ضد ما كانت صورتي (٤) عندهم ، بأن لان قولهم لي ، واعرضوا عني .

ومنهم من اظهر ذلك لي ، غير مستح (٥) مني بل مصرحا بالقول : من انك كنت عندنا بخلاف ما نجدك ، اذ كان في نفوسنا انك اذا نظرت الى ما بنا ، وجسست نبضنا ، امكنك ان تخبرنا بجميع ما تعلتنا في ايام علتنا ، وما يجد من الالام على كنهها .

---

(١) في الاصل « دليلهم » .

(٢) كان من عادة الاطباء في عصر الرازي تشخيص المرض بالفحص عن بول المريض ، دون ان يروه احيانا . وقد لفت الرازي الانظار الى وجوب فحص المريض نفسه بالاضافة الى ذلك ـ ديورانت : قصة الحضارة ص ١٩٢ جـ ٢ مجلد ٤ .

(٣) ليست بالاصل .

(٤) في الاصل « صرتي » .

(٥) في الاصل « مستحى » .

ولم ينجح (١) كلامي فيهم . ان من وصفهم غير مدرك لهذه (٢) الصناعة ، لما قد تمكن (٣) في نفوسهم من مخاريق (٤) الهرابين وحيل المخرقين (٥) .

وان كان قد يمكن الماهر ، ان يعتبر عن بعض ما بالعليل ، فانه لا يمكنه الاخبار عما فعله البارحة ، وعما اكله على كنهه . فان كانت صناعة الطب ، ما هي محصورة في كتب الحكماء من اليونانيين والهنديين ، فليس ولا في واحد من هذه الكتب ، ما ادعوه من مثل هذه الاشياء (٦) ، انهم يلزمون الزوايا ، ويروجون صناعتهم وحيلهم ، على اهل

---

(١) اي لم ينفع .

(٢) في الاصل « بهـذه » .

(٣) في الاصـل (يمكن) .

(٤) في الاصل (مخادبين) . ومن الطريف ان ينسب الى الرازي كتاب يدعى : (مخارق الانبياء) مع انه بريء من ذلك .

(٥) في الاصـل (المباين) .

(٦) هنا تبدو ثقافة الرازي ، ويتضح مدى اطلاعه على معارف السابقين .

ضعف / العقل (١) من الرجال والنساء ... (٢) وآراؤهم ، في استخدام من يخدمهم متضاربة (٣) .

فمنهم من يريد طول المقام عنده ، ومنهم من يكرهه (٤) . فاذا خففت على هؤلاء في الخدمة ، كان ذلك عندهم ضربا من الخدمة .

فان امرك ازاءهم بالتبسم (٥) ، واقبل عليك بوجه طلق ، خير من ان يثقل راسه عليك ، او يصد بوجهه عنك .

---

(١) الرازي ذو فراسة قوية في فهم نفسية الاشخاص . وهو يعرف جيدا كيف يعامل كل انسان على حدة . وله رسالة في الفراسة ، لا تختلف مبادئها مع مبادىء العلم الحديث ، في هذا النوع من المعرفة ، له : جمل احكام الفراسة ـ ط حلب ١٩٢٩ .

(٢) في الاصل : (متضربة) .

(٣) في الاصل جملة رسمها هكذا : واحفظ عن وصيته اشدد ومختلفة .

(٤) في الاصل (يكرهه) .

(٥) في الاصل فلتي امرك ازاهم بالسره . وعلى اي حال فالمعنى متعثر .

واعلم انك اذا تملكت هذه الخصال ، ولازمتها في سائر الاحوال ، كنت حريا بأن يخصك الملوك والسوقة ، ويقبل عليك الخاصة والعامة . ولا تخلو في خلال ذلك من ثواب وذخر ، وجزيل مثوبة ، وحسن ذكر (١) .

وفيما اعلمتك من هذا الباب ، بهذا القدر (٢) (ما) فيه كفاية (٣) ، وغنى لمن نظر فيه ، وتدبره بعقله (٤) .

---

(١) من اصول فلسفة الرازي ان الله تعالى هو : (المالك لنا ، الذي منه نرجو الثواب ، ونخاف العقاب . ناظر لنا ، رحيم بنا لا يريد ايلامنا ، ويكره لنا الجور والجهل ، ويحب منا العلم والعدل) (السيرة الفلسفية ١٠١) .

(٢) يلاحظ هنا أن مؤلف الرازي هذا من الرسائل القصيرة . وهو يميل دائما الى الايجاز ، لما فيه من بلاغة وتوفير جهد .

(٣) هذه الرسائل القصيرة التي الفها الرازي ، كان يعتبرها بمثابة دستور في الطب . وقد صرح بهذا في حديثه عن كتابه (برء الساعة ص ٤) .

(٤) في الاصل (بعقلي) .

والله تعالى يوفقك (١) للسداد ، فتسلك كل طرق (٢) الرشاد ، بمنه وجوده ولواهب العقل الحمد بلا نهاية ، كما هو اهله ومستحقة (٣) .

---

(١) في الاصل (موفقك) .

(٢) في الاصل (طريق) .

(٣) في الاصل (اهلي ومستحقي) .

قائمة المراجع

* * *

اولا ــ مصادر من تاليف ابي بكر محمد بن زكرياء الرازي :

١ ــ الاسرار ــ ايران ١٣٤٣هـ .

٢ ــ برء الساعة ــ القاهرة ١٩٣٦ .

٣ ــ جمل احكام الفراسة ــ حلب ط ١ ــ ١٩٢٩ .

٤ ــ الحاوي ــ الهند ــ ط١ ــ ١٩٥٥ .

٥ ــ الحصى في الكلي والمثانة ــ نشر / كونينج ــ ١٨٩٦ ليدن .

٦ ــ رسائل فلسفية ــ تحقيق ب كراوس مصر ١٩٣٩ وتشتمل على الرسائل الاتية :

ا ــ امارات الاقبال والدولة .

ب ـ السيرة الفلسفية .

جـ ـ الطب الروحاني .

د ـ مقالة فيما بعد الطبيعة .

هـ ـ المناظـرات .

٩ ـ المدخل الصغير الى علم الطب ، مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقم ٤٢٠٨ ، ل .

٧ ـ سر الاسرار . ايران ١٢٤٣هـ .

٨ ـ الفاخر في الطب ، نشر كونينج ع ١٨٩٦ ليد .

١٠ ـ منافع الاغذية ودفع مضارها ، مصر ١٣٠٥هـ ٥

★ ★ ★

ثانيا : مراجع

★ ★ ★

١ ـ د. احمد امين : ظهر الاسلام : ط٣ ، ١٩٦٣ مصر .

٢ ـ ارسطو : المنطق (نظرية البرهان) تحقيق د. بدوي . مطبعة دار الكتب المصرية ط ١٩٤٩ .

٣ ـ الدوميلي : العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي . ترجمة د. عبد الحليم النجار ، د. محمد يوسف موسـى . دار القلم بمصر ، ط١ ، ١٩٦٢ .

٤ ـ اميل لودفيغ : الحياة والحب ، ترجمـة عادل زعيتر ، دار المعارف بمصر ١٩٥٠ .

٥ ـ برجسون : منبعا الاخلاق والدين . ترجمة د. سامي الدروبي ، عبد الله عبد الدائم ، مكتبة نهضة مصر ، ط١ ، ١٩٤٥ .

٦ ـ برنارد شو : حيرة الطبيب ، ترجمة د. عمر مكاوي . دار الفكر العربي ، ١٩٦٢ .

٧ ـ بولي (جون) : رعاية الطفل وتطور الحب . ترجمة د. السيد خيري ، وزميليه. دار المعارف بمصر ١٩٥٩ .

٨ ـ جرينباوم : حضارة الإسلام ـ ترجمة عبد العزيز توفيق . مكتبة مصر ١٩٥٦ .

٩ ـ د. حسني سبح : فلسفة الطب ، دمشق ـ ط٢ ـ ١٩٤٥ .

١٠ ـ حيدر بامات : مجالي الاسلام . ترجمة عادل زعيتر ـ الحلبي بمصر ١٩٥٦ .

١١ ـ دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ـ ترجمة د. محمد ابو ريدة مصر ١٩٣٨ .

١٢ ـ ديورانت : قصة الحضارة ترجمة محمد بدران . ط مصر .

١٣ ـ الشهرزوري : نزهة الارواح . مخطوط دار الكتب المصرية رقم ١٢٠٥٠ : ح .

١٤ ـ عبد الرزاق نوفل : المسلمون والعلم الحديث مكتبة طايع بمصر ط٢ .

١٥ ـ د. عبد اللطيف محمد العبد : فلسفة ابي بكر محمد بن زكرياء الرازي (رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الاولى ـ ١٩٧٥ كلية دار العلوم تحت الطبع) .

١٦ ـ علي بن العباس المجوسي : كامل الصناعة الطبية ، المطبعة الكبرى بمصر ١٢٩٤هـ .

١٧ ـ مسالك الابصار مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٥٥٩ معارف عامة .

١٨ ـ الغزالي : احياء علوم الدين الحلبي بمصر ١٩٣٩ .

١٩ ـ القشيري : الرسالة القشيرية صبيح بمصر ١٩٦٦ .

٢٠ القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء ، الخانجي بمصر ط ١ ١٣٢٦هـ .

٢١ ـ د. محمد زكي سويدان : التمريض والاسعاف مصر ط ٢ ١٩٥٧ .

٢٢ ـ د. محمد كمال جعفر : التصوف طريقا وتجربة ومذهبا . دار الكتب الجامعية بالاسكندرية ١٩٧٠ .

٢٣ ـ مصطفى لبيب : الكيمياء عند العرب دار الكاتب العربي بمصر ١٩٦٧ .

٢٤ ـ د. هاشم الوتري ، و د. معمر خالد : تاريخ الطب في العراق بغداد ١٩٣٩ .

٢٥ ـ وانشلي (دانا) : الطبيب معالجا وعالما ، ترجمة : زكريا فهمي : دار الفكر العربي بمصر .

٢٦ ـ يحيى الشريف (وزميلاه) الطب الشرعي ، مكتبة القاهرة الحديثة ط١ ١٩٥٨ .

٢٧ ـ يحيى بن هبيرة اختلاف الائمة ، مخطوط دار الكتب المصرية ٢٣٣١٩ ب .

ثالثا : موضوعات

● ●

١ ــ ابن ابي اصيبعة : عيون الانباء تحقيق د. نزار رضا : بيروت دار مكتبة الحياة ١٩٦٥ .

٢ ــ ابن خلكان : وفيات الاعيان . تحقيق محمد محيي الدين : النهضة المصرية ١٩٤٩ .

٣ ــ ابن النديم : الفهرست المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٣٤٨هـ .

٤ ــ البغدادي (اسماعيل) : هدية العارفين . استانبول ١٩٥٥ .

٥ ــ التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون تحقيق د. لطفي عبد البديع النهضة المصرية ١٩٦٣ .

٦ ــ الاب لويس معلوف اليسوعي : المنجد في اللغة والادب والعلوم بيروت : ط٥ ١٩٢٧ .

٧ ــ د. محمد زكي شافعي : دائرة معارف الطب والعلاج المنزلي ط٢ دار الفكر العربي بمصر .

٨ ــ محمد شفيق غربال (باشرافه) : الموسوعة العربية الميسرة دار القلم بمصر .

رابعا : دوريات

* * *

١ ــ مجلة / المباحث : العدد ٨ السنة الاولى ١٩٠٩ .

٢ ــ مجلة / المقتبس : ج ١٠ المجلد الثالث . نوفمبر ١٩٠٨ .

٣ ــ مجلة / المقتطف : ج ٥ مجلد ٧٥ ديسمبر ١٩٢٩ .

خامسا ــ مراجع انجليزية

1 — Melanie Klein : The Psycho-Analysis of Children, London, 1954.

2 — Sarvepalli; History of Philosophy Eastern and Western V 11 London, 1953.

فهرس